

التربية الإسلامية للناشئة

جمعه وحققه فضيلة المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

المرحلة الثانية

منهاج دراسي

المرحلة الثانية

التربية الإسلامية للناشئة

فَضِيلَةُ ٱلعَلَّامَةُ ٱلإِنْسَانِي ٱلكَبِيرِ

محمد أمين شيخو

(قَدَّسَ ٱللَّهُ سِرَّهُ)

منهاج

المرحلة الثانية

التربية الإسلامية للناشئة

عه وحقّقه ا ر الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

بإشراف فضيلة دث دمشق الأك

المرحوم الشيخ محمد الديراني

تطلب كتب العلامة مد أم شيخو من:

دار نور البشير

سوريا – دمشق – ص.ب: 11777

هاتف: 6329717 (0096311).

(0096311) 541544 :Èõǻ

www.amin-sheikho.com

info@amin-sheikho.com





المرحلة الثانية

التربية الإسلامية للناشئة

المدرسة............

الصف.............

جَمَعَهُ وَحَقَّقَهُ فَضِيْلَة ٱلمُرَبِّي ٱلأُسْتَاذ

عبد القادر يحيى الشّهير بالدّيراني

ابن محدث دمشق الأكبر المرحوم الشيخ محمد الديراني

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء...

من   اء الرسول العظيم ﷺ، الشفوق ا ليم الرحيم، الذي وهب روحه وحياته لأمته... صلى ا   عليه وعلى آله وأصحابه الطيبـ   الطاهرين.

ومن ورثته الأبرار...

نقدم هذا ا نهاج ا بارك ا ديد:

المرحلة الثانية

(التربية الإسلامية للناشئة)

إ   طلابنا الأعزاء الصادقـ   للوصول والاقتفاء بأثر الرسول ﷺ

الطا   للنجاح وا نات العلى الراغبـ   با عرفة ا قيقية.

هدية مجانية قيِّمة

لا وز بيع هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المعلم الأول المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن سار بهداه ليوم الدين.

تمهيد:

أخي المعلم الفاضل...

إنّ هذا المنهاج المبارك مُعدّ لتدريس الطلاب وتعليمهم، وتثقيفهم ثقافة عالية مبنيَّة على أسس علميّة مستوحاة من كلام الله تعالى وبيان رسوله الكريم ﷺ، وبذلك العلم الرباني يتأهل الطالب لتهذيب نفسه وتوريدها موارد الكمال ويتحقق نجاحه بالدنيا والآخرة، وإن أهمية مادة التربية الإسلامية هذه التي بين أيدينا تنبع من كونها مستقاة من تأويل العلَّامة الإنساني الكبير محمد أمين شيخو قُدِّس سره لكتاب الله العظيم (القرآن الكريم) التي أفاض الله بنوره بها على قلبه لقربه العظيم من حضرة الله وحبّه الكبير لرسوله الكريم ﷺ ورحمته التي اكتسبها من الله تعالى على

إخوته في الإنسانية، فكان السراج الذي يضيء للأجيال طريقها إلى السعادة بكتاب الله والنبراس الذي يهدي البشرية لإخراجها من الظلمات إلى النور.

وستجد أيها المعلم الفاضل بهذا المنهاج وبجميع المقررات الأخرى هذه النقاط الأساسية:

أولاً: تعريف الطلاب بكمال الله تعالى وبيان رحمته بعباده وعدله في خلْقه، وردّ كل ما علق بالأذهان وما دار على الألسنة مما يتنافى مع العدالة والرأفة والرحمة وسائر الكمالات الإلهية والنبراس في ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾[1].

ثانياً: بيان كمال الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين شهد الله تعالى في كتابه الكريم بطهارة نفوسهم وعصمتهم وجعلهم مُثُلاً عليا للعالمين يقتدون بهم، ودحض كل افتراء أو تأويل يتنافى مع سموِّهم ورفيع مكانتهم متمسِّكين في ذلك بقوله تعالى: ﴿**أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ**﴾[1].

ثالثاً: الدعوة إلى التمسُّك بأهداب الشرع الشريف وتقوى الله حق

(1) سورة الأعراف: الآية (180).

(1) سورة الأنعام: الآية (90).

تقاته، مع تحذير الإنسان من أن يُتبع نفسه هواها ويتمنى على الله الأماني راجعين إلى قوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾[1]. وقول رسول الله ﷺ:

«**الكيِّسُ مَن دانَ نفسَهُ وعمل لما بعدَ الموْت، والعاجزُ من أتبعَ نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني**» [2]

رابعاً: إرشاد الطلاب إلى خطوات الإيمان الصحيح وفق ما بيَّنه رسول الله ﷺ لأصحابه الكرام أخذاً عن كتاب الله تبارك وتعالى، إذ ما من امرئٍ خالطت بشاشة الإيمان قلبه إلا استقام على أمر الله وكان له رادعٌ من نفسه، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله الكريم: ﴿ **وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ** ﴾[3].

خامساً: توقير رسول الله ﷺ وتعظيمه وبيان شأنه العالي عند الله ثمَّ الإرشاد إلى طريق محبته ﷺ، وبيان ما تثمره محبة تلك النفس الزكية الطاهرة من إقبال بصحبتها على الله واصطباغ النفس المؤمنة المستشفعة بها بكمالٍ من الله تأسياً بقوله تعالى: ﴿ **فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ**

---

(1) سورة النساء: الآية (123).

(2) أخرجه الترمذي.

(3) سورة التغابن: الآية (11).

وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

لذا على الإخوة المعلِّمين الأفاضل أنْ يدْرسُوا هذا المنهاج دراسةً وافيةً قبل تدريسه للطلاب، خاصةً وأنَّ هذا المنهاجَ مُعدّ بطريقةٍ سهلة جداً فهو يشرحُ الآيات الكريمة أولاً باللغةِ العربية، وذلك مما يساعدُ الطالب على فهم معنى الآية الكريمة، وكذلك فهمُ السورة كاملة.

وأيضاً فيه ذكرٌ لبعضِ قصصِ العلّامة محمد أمين شيخو وذلك مما يُضفي جوّاً غنيّاً أثناءَ التعليم كما يُعلِّمُ الطالبَ التفكيرَ ويعلمه الشجاعة والإيثار، وأيضاً يَعلَم الطالب أن العلمَ الحقيقي لا يرزقُه تعالى لمن لا يُعمل تفكيره ولا يسعى في مساعدة الآخرين.

إنما يرزقُ الله العلمَ ويفتح بالمعرفة على الإنسان المفكّر الباحث عن الحق والذي يَبذلُ مما آتاه الله ويساعد الآخرين.

وكلُّ إنسان يرزقه الله تعالى على قدْرِ سعيه وعمله واللهُ واسعٌ عطاؤه وهو ذو الفضل العظيم.

تقد ا ربي الأستاذ

عبدالقادر يحيى الشهير بالدّيراني

(1) سورة الأعراف: الآية (157).

القرآن الكريم

مفرِّقاً بين الحق والباطل

بيَّن طريق السعادة والشقاء ليفرِّق الإنسان بين الخير والشر

القرآن الكريم فيه شيئان:

دلالة على لا إلَه إلا الله

وبيان طريق الحق من الباطل.



قسم

الحفظ والتأويل

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾

صدق الله العظيم

الدرس الأول

تأويل سـورة الهمزة

عزيزي الطالب: لقد جاءت هـذه السـورة الكريمـة لتبيِّن لنـا أن الـذي يُحب الدنيا ويقبل على جمع المال نصيبُهُ الويل والهلاك، وليس له في الآخرة إلا النار.

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾

فما هو معنى كلمة **الويل**؟.

الويل: هو حلول الشرِّ والهلاك، يُصيب الإنسـان فيجعلـه تعيسـاً معـذَّباً ولـو كـان يملـك القنـاطير المقنطـرة مـن المـال، وإن كـان صـاحب نفـوذ وسلطان.

ولكن لمن يكون الويل؟. فقد بيَّن تعالى ذلك بقوله الكريم:

﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾

فمن هو **الهمزة**؟.

الهمزةُ: هو الذي غابـت نفسـه في محبـة الـدنيا، مـأخوذة مـن الهمـز، وهـو الضغط والنَّخْسُ، ومنه: المهماز، يُقال: همزَ الفـرس، أي: نخسـها بـالمهماز لِتُسـرع في الجري فهو همَّاز، و**همزة**: أي: كثير النخس والغمز.

والهمزةُ هنا: تدل على الذي يهمزُ، أي: يندفع ويغيب في محبة الدنيا سـعياً

وراء زينتها ، كما يغيب المهماز في بطن الفرس.

وما هو معنى كلمة : **لُّمَزَةٍ** ؟.

اللمزة: مأخوذة من اللمز ، وهو: العيب.

يُقال: لَمَزَ فلان فلاناً، أي: عابه[1]، فهو لمّاز ولُمَزَةٌ. واللمزة: هو العيَّاب وليس المراد منه هذا الذي يعيب الناس بذكر نقائصهم والتحدث عن صفاتهم السيئة، بل هو الذي يعيب نفسه بما يلصقه بها من الشُّح والبخل والبغي والحسد وغير ذلك من العيوب النفسية التي تنشأ عن محبة الدنيا.

ويكون مُجمل ما نفهمه من آية: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾:

أن **الهمزةُ**: الذي يغيب منهمكاً في محبة الدنيا. و**اللمزة**: الذي جرَّ العيوب لنفسه، فنصيبه حلول الهلاك ونزول الشر والبلاء.

وقد أراد تعالى أن يبيِّن لنا الآية الأولى فقال سبحانه وتعالى:

﴿**ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ**﴾

وعدَّد المال: أي: أحصاه وجعله ذا عددٍ. عدَّد المال أيضاً بمعنى: جعله عُدَّة للدهر. فمن خصائص المستغرق في محبة الدنيا أن يجمع المال ويجعله عدةً له ظنّاً أنه بالمال قد أمَّن لنفسه الحياة الهنيئة والسعادة الدائمية.

---

(1) ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾. التوبة (79).

وقد ردَّ تعالى عليه بقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾

وفي ذلك تقريع له وتنبيه، أي: وهل يظنُّ هذا الرجل أنَّ ماله يجعله خالداً فلا يمدُّ له الموت يده.

ثم بيَّن تعالى مصير هذا المسكين بعد الموت بقوله:

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾

وكلا: كلمة ردع ، أي: ليس الأمر كما يحسبه ذلك الغافل المطمئن بالدنيا فإن ماله لا يخلده، وإنه ليُنبذن في الحطمة. والمراد بكلمة **(لَيُنْبَذَنَّ)** أي: ليطرحنَّ يُقال: نَبَذَ الشيء، أي: طرحه ورمى به.

والحطمة: مأخوذة من حطَّم، بمعنى: كسر، ومنه الراعي الحطَم، أي: الظلوم، يسوق الماشية فيحطمها، **والحطمة**: كل شيء شديد يُضعف الإنسان ويحطمه.

ويكون ما نفهمه من آية: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾:

أي: ليطرحن فيما يحطِّمه، ثم بيَّن تعالى عظيم شأن الحطمة بقوله:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾

أي: إنك لا تعلم ما هي الحطمة؟. ولو أنك علمت هولها لما انكببت على الدنيا ولما انهمكت في محبتها.

ثم وضَّح تعالى **الحطمة** بقوله: ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾

فالحطمة: هي النار ، نار الله ، وقد نسبها تعالى لنفسه بياناً لشدَّتها.

والموقدة: بمعنى المُشعلة الشديدة الحرِّ.

ثم بيَّن تعالى فعلها بقوله: ﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾

فهذه النار إنما تطَّلعُ، أي: تصيب وتأتي على الأفئدة، **والأفئدة**: جمع فؤاد وهو لبُّ النفس.

أي: إن حريقها إنَّما يُسلَّط على لبِّ النفس وينصبُّ عليها. ثم بيَّن تعالى ما تلْقاه تلك الأنفس الملوَّثة من شدة الحر وحريق النار، فقال تعالى:

﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾

والمؤصد: هو المغلق والمطبق.

يُقال: أوصد الباب ، أي: أغلقه، وأوصد القدر أي: أطبقها.

فالنار **مؤصدة** على تلك الأنفس، أي: مطبقةٌ عليها محيطة بها من جميع جهاتها. ثم بين تعالى كيفية انصباب النار على تلك الأنفس بقوله الكريم: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾

والعَمَدُ: جمع عمود وهو ما كان على خط مستقيم ، كما ينصبُّ لهيب النار نار الصائغ على القطعة التي يصوغها، فبهذا الوضع العمودي يكون حريقها

أكثر وفعلها أعظم وقد جاءت كلمة (**عَمَد**) بصيغة الجمع لتبيِّن أن النار إنما تُمَدَّدُ وتُصوَّب على تلك الأنفس من جهات عدَّةٍ ، تصيبها من جميع جهاتها، فلا تجد لها مخرجاً ولا مخلصاً.

(ونعوذ بالله من حب الدنيا، ونعوذ به تعالى أن تكون النارُ لزاماً)



التدريبات:

- احفظ سورة الهمزة من أستاذك بالمدرسة جيداً وتعاون مع أصدقائِك وأهلك بالبيت على حفظها وفهم تأويلها الكريم.

الأسئلة :

1- ما معنى كلمة ﴿**وَيْلٌ**﴾ الواردة في مطلع السورة الكريمة؟.

2- إلى ماذا تُشير كلمتا ﴿**هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾؟.

3- ما هو السبيل الصحيح للفوز بالسعادة والحياة الهنية ؟.

4- تُؤكد السورة الكريمة أن حب المال والسعي من أجل كنزه يودي بصاحبه إلى الحطمة، فما هي هذه الحطمة؟.



سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾



الدرس الثاني

تأويل سورة العصر

أعزائي الطلاب: بعد أن بينت لنا سورة **الهمزةُ** النتائج السيئة التي تترتب على من يجمع المال ويجر لنفسه العيوب والصفات السيئة وأنه يودي بنفسه إلى الحطمة.. أراد الله تعالى أن يحذِّرنا في هذه السورة من تضييع عمرنا سدى ويبيِّن لنا أن هذا العمر كنز ثمين ، فإن نحن صرفناه في الدنيا وجمعِ حطامها خسرنا خسراناً مبيناً وكان أمرنا فُرُطاً..

ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾

فما هو معنى كلمة **العصر**؟.

للعصر معانٍ عدة: فهي آخر النهار.. وهي بمعنى الدهر.. بمعنى اليوم.

والمراد **بالعصر** هنا: عمر الإنسان ، تعتصر فيه نفسه ، فيظهر خيرها من شرها. وتنكشف حقيقتها وطويتها، وكلمة (**العصر**) والحالة هذه مفتاح هذه السورة، فبها يستطيع الإنسان أن يُقبل على الله تعالى ، وبها يستطيع أن يتمثَّل معاني السورة كلها.

فإذا قرأ الإنسان كلمة: (**وَالْعَصْرِ**).. عرَّفته هذه الكلمة أن له في هذه الدنيا مدةً معلومة وعصراً معيَّناً، وأن له بداية، وهي يوم خروجه طفلاً إلى

الـدنيا، ونهايـةً ينتهـي بهـا أجلـه، فيفـارق هـذه الحيـاة ويرحـل عنهـا، وبهـذا تحصل للنفس موعظة وذكرى، فهي تَذْكُرُ بدايتها، وأنها من قبل لم يكـن لهـا وجود، ولم تكن شيئاً مذكوراً، والخالق العظيم الـذي خلقهـا وسـاقها لهـذه الـدنيا هـو الـذي يعظهـا ويُـذكِّرها، ثـم هـي تـذكر نهايتهـا.. إذ أن عصــرها سينقضـي يوماً ما، وأنها لا بد لها من الرحيل والزوال، وعنـدها تتـذكر يـوم فراقها فلا تعود تركن إلى الدنيا ولا تعود تطمع في البقاء فيها.

ثم إن كلمة (**وَالْعَصْرِ**) تُعرِّفنـا أيضـاً أن هـذه المدة التـي نقضـيها في الـدنيا ثمينة وثمينة جداً، فيها يستطيع الإنسان أن ينـال سـعادة أبديـة لا نهايـة لهـا، وبهذه المدة المحددة نستطيع أن نؤمِّن لأنفسنا حياة طيبةً أبداً وسـرمداً.

فإذا اغتنم الإنسان هذه الحياة، فقد فاز فـوزاً عظـيماً، وإن هـو اشـتغل بالـدنيا وزينتها، فقد خسـر خسـراناً مبيناً، ولذلك قال تعالى:

﴿ **إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ** ﴾

والخسـر: ضد الربح، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وقد أعدَّ له من قبـل أن يخرجـه إلى الـدنيا خـيراً كثـيراً، وعطـاءً عظـيماً، ﴿ **إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ** ﴾ ولكن هذا الإنسان بإعراضه عن ربـه تعمـى بصـيرته، فيضـلّ طريقه، ولا يرى ذلك الخير الذي أعدَّه له ربه بل يضيّعه ويخسـره.

ومن جهة ثانية ذلك المُعرض عن الله يتناول الأشياء المؤذية، ويُقارف المعاصي المهلكة، وبذلك يغدو مريض القلب، عليل النفس، فيخسر السعادة التي أعدَّها الله له في الدنيا، ومن رحمة الله به ألاَّ يدعه في ذلك المرض النفسي المهلك، بل يزوي عنه الدنيا ويسوق له من المرض والفقر والنغص والكرب ما يكون مُطهِّراً لقلبه وعلاجاً لنفسه، ولو أنه سلك الطريق الذي بيَّنها له ربُّه لبُدِّل فقره غنىً، ومرضه صحة، ولكان عمره كله خيراً.

ذلك لأن الله تعالى الذي خلق هذا الكون، وجعله على أبدع نظام، لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يُرسله إلى هذه الدنيا ليعيش فيها شقياً معذَّباً، بل جعل له نظاماً، وبيَّن له طريق السعادة شِرعةً ومنهاجاً.

وقد أراد تعالى أن يُبيِّن لنا الطريق الذي به ننال الفضل الإلهي المُعدَّ لنا ويندفع به ذلك الخسر عنا، فقال تعالى:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾

ولكن ما هو هذا الإيمان الذي يكون سبباً في نوال الفضل الإلهي ، ودفع الخسران؟.

أقول: هذا الإيمان هو الإيمان بالله، أي: معرفة الإنسان بأسماء ربِّه،

وشهود كماله، ورؤية فضله وإحسانه.

فإذا أقبلت النفس إقبالها الصادق على الله، فهنالك تشهد من عطفه ورحمته وترى من لطفه ورأفته، وتُعاين من إحسانه وفضله ما يجعلها تذوب في محبته وتُسبِّح بحمده، وتقدِّره حق قدره.

ذلك مبدأ الإيمان، وهنالك وبهذا الإيمان وبتلك المشاهدة يستسلم الإنسان إلى ربِّه كيف لا وقد رأى أنه سبحانه أرحم به من أمه وأبيه لا بل من نفسه التي بين جنبيه، نعم يستسلم الإنسان لربه، فيطيعه في أوامره، ذلك لأنه رأى أن جميع أوامر الله كلها في خير الإنسان ومصلحته، وجميعها سبب جلب الخير والسعادة إليه، ولذلك ذكر تعالى عمل الصالحات بعد الإيمان، إذ أن الإيمان الذي تكلَّمنا عنه أصلٌ، ومنه ينبعث العمل الصالح وبسببه تنشط النفس لفعل الخيرات وعمل الصالحات. فالإيمان يُري النفس أن سعادتها وهناءها لا يكون إلا بطاعة الله، وبهذه الطاعة يعود الخير على النفس بما قدَّمته من الأعمال، فتشكر الله وتزداد إقبالاً عليه، وهنالك تشتق من الرحمة والعطف فتعود عطوفة رحيمة، تتمنى الخير لكل إنسان، وعندها تنطلق في دعوة الناس إلى ذلك الربِّ الرحيم مبيِّنة لهم أن طاعته سبحانه سبب السعادة ومصدر الخير، ولذلك قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾

والتواصي بالحق: إنما هو مرتبة تتلو العمل الصالح المرتكز على الإيمان،

ومن شأن هذا الرجل المؤمن الذي أخذ يوصي الناس بالحق وسلوك طريق الخير أنه يتكلم للناس دوماً عن رحمة الله بخلقه، مبيِّناً لهم أن الله تعالى لا يدع الإنسان مريض النفس، عليل القلب، بل إن الرحمة الإلَهية تقتضي مداواة الأنفس الملوَّثة بجرثوم الشهوات الخبيثة، فكل ما يسوقه الله تعالى من البلاء والشدة كل ذلك علاجٌ ودواءٌ للأنفس المريضة، التي أعرضت عن الله فوقعت في المعصية. وعلى الإنسان أن يصبر على ما ابتلي به، فإن ذلك كله علاج ومن بعده الشفاء واليسر، والله رحيم بخلقه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾

فالمؤمن المقبل يدرك بإيمانه حكمة الله في البلاء الذي يسوقه لخلقه، ولذلك تراه يُوصي الناس بالصبر، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات تراهم ينطلقون في الدعوة إلى الحق والتواصي بالصبر، ومن سلَكَ مسلكهم فقد خلُصَ من الخسر وفاز بالسعادة.



التدريبات:

- احفظ سورة العصر من أستاذك بالمدرسة جيداً وتعاون مع أصدقائِك وأهلك بالبيت على حفظها وفهم معانيها السامية.

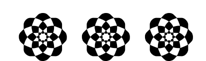
الأسئلة:

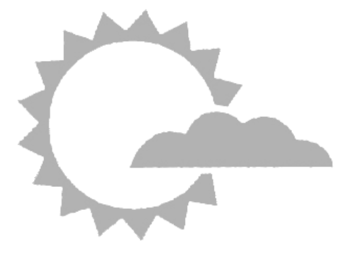
1- إلى ماذا تدل كلمة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾؟.

2- لماذا يربط القرآن الكريم الإيمان بالعمل الصالح؟.

3- ما الذي سيخسره الإنسان إذا هو ما آمن بربه؟.

4- بماذا يوصي الإنسان المؤمن الناس وخاصة الذين تنزل بهم المصائب؟.





سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾



الدرس الثالث

تأويل سورة التكاثر

طلابنا الأعزاء: إن سورة التكاثر تحث الإنسان على الوصول لعلم اليقين والذي به يرى الخير خيراً والشر شراً.. كما أنها تُحذِّر الإنسان من أن يضيِّع عمره في جمع حطام الدنيا والسعي ورائها، وتبيِّن له أن هنالك مسؤوليةً كبرى سيكون مُعرَّضاً لها، وأن الله لم يرسل الإنسان لهذه الدنيا إلا لغاية عظيمة وهدف كبير، يكاد الإنسان يضيعه في جمع الأشياء التافهة. لذا حذر الله الإنسان المنشغل بدنياه والجمع فيها قائلاً:

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾

وألهاكم: بمعنى شغلكم.

والْتكاثر: هو الاستزادة والتسابق إلى تكثير الشيء.

ويكون المراد من آية: ﴿**أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ** ﴾:

أي: شغلكم التكاثر في الأموال والأولاد، وألهاكم ما في الدنيا من المناصب والسلطان واللذائذ المادية عن التمتُّع بذلك الكنز الثمين، وهو معرفة الله تعالى.

وبالحقيقة: الدنيا وما فيها من أموال وأولاد، وجميع ما يسعى الناس إليه

من عزٍّ وسلطان، كل ذلك لهو باطل وظل زائل، والعبرة كل العبرة من هذه الحياة والمقصود منها أن يتعرَّف الإنسان منها على ربِّه، وأن تحصل له الصلة بالله، فإن وصل إلى ذلك فقد أصبح إنساناً وفاز بالسعادة في الدنيا والآخرة، وهنالك يحيا حياة طيبة.

وفي الحديث القدسي الشريف:

«ابن آدم: اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فِتُّك فاتك كل شيء، وأنا أحَبُّ إليك من كلِّ شيء»[1].

ولكن ضيَّع الناس ذلك الكنز الثمين، واشتروا بتلك السعادة الحقيقية الخالدة متاعاً زائلاً، ولهواً باطلاً، وثمناً قليلاً، غير شاعرين بالخسران الذي يلحق بهم وينالهم، فهم لا يزالون كذلك حتى يوافيهم أجلهم، وهنالك يستفيقون من نومهم، ويصحون من غفلتهم، والناس نيام إذا ماتوا انتبهوا.

ولذلك قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾

(1) الزبور، وفي كتاب إحياء علوم الدين: الجزء الرابع ص469 بلفظ: «من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني»، فقال أبو الدرداء: أشهد أني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا.

فعند الموت وحين تنكشف الحقائق يرى كلُّ امرئٍ نتائج سعيه ولهوه وعظيم خسرانه.

وقد جاء التعبير عن الموت بقوله: ﴿زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ لتبيِّن للإنسان أن هذه المدة التي يقضيها في القبر مهما طالت منذ موته إلى يوم بعثه إنما هي زيارة مؤقتة وستكون بعد الموت عودة إلى الحياة، تلك الحياة الأبدية التي يمتد فيها شقاء الكافرين فلا ينتهي ولا ينقضي، ويستمر فيها نعيم المحسنين أبداً ذلك كله تُوحيه لنا كلمة ﴿زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾.

وفي كلمة ﴿زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ عظة بليغة تجعل حدّاً بين الإنسان وبين مطامعه الدنيوية.

وقد أراد الله تعالى أن يُنبِّه الإنسان إلى تلك المعرفة التي ستحصل له عند موته وردعه عن الاستمرار في لهوه وضلاله فقال تعالى:

﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾

وكلاَّ: كلمة زجرٍ وردع. تردعُ المخاطب عن الاستمرار في غيِّه، وتزجره عن التمادي في ضلاله، **وسوف تعلمون**: أي: ستعلمون عند الموت ما أنتم الآن فيه من الضلال، وما تجرُّونه لأنفسكم من الخسران في لحاقكم

بالدنيا وتضييعكم لمعرفة الله، ستعلمون أن هذه الحياة التي أنتم الآن فيها ليست بالحياة الهنيئة وأن جميع ما تبذلونه في سبيلها لا يصل بكم إلى السعادة الحقيقية، وستعلمون خسارتكم في تضييعكم معرفة ربكم، تلك المعرفة التي تسمو بالنفس فتجعلها نفساً إنسانية وتجعلها تحيا حياة سعيدة. ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

وقد كرَّر تعالى كلمة (**كلاَّ**) زيادة في الرَّدع والزَّجر، وجاءت كلمة (**ثم**) وبعدها (**سَوْفَ تَعْلَمُونَ**) لتبيِّن لنا أن هنالك معرفة ثانية تلي المعرفة الأولى التي تكون عند الموت، وهذه المعرفة الثانية ستكون غداً عند البعث والحشر، وقت الصيحة بالحق والخروج من القبر، وحينئذٍ يعلم المفرِّطون في جنب الله العظيم خسارتهم ويرون أن ما جمعوه من الدنيا وتكاثروا به إنما هو حسرة عليهم.

وقد أراد تعالى أن يُتمم الردع والزجر، وأن يبيِّن للإنسان الطريق الذي يخرج به من هذا الضلال، ويصل به إلى الهدى والرشد، فقال تعالى:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾

فما هو علم **اليقين**؟.

اليقين: هو ثبوت الأمر واستقراره في النفس.

والعلم: هو الرؤية والمشاهدة، وهذه الرؤية على نوعين:

1- **رؤية ترى بها النفس صورَ الأشياء.**

2- **رؤية ترى بها حقائق الأشياء، أي: ما فيها من الشرِّ والخير.**

فأما **رؤية الأشياء،** فهذا يكون بواسطة العين. إذ إن النفس في هذه الحال ترى الخيال المرتسم في العين، والعلمُ المبنيُّ على هذه الرؤية المذكورة ليس بعلم اليقين.

وأما **رؤية الحقيقة،** فإنما هي إدراك النفس بذاتها ما في الأشياء من الشرِّ والخير سواءً كان هذا الإدراك مبنياً على سماعٍ أو رؤيةٍ بالعين.

وهذا العلم المبني على هذا النوع من الرؤية هو: علم اليقين.

ولكن كيف تستطيع النفس أن تدرك ما في الأشياء من الشرِّ أو الخير؟.

أقول: هذا الإدراك لا يكون إلاَّ إذا أقبلت النفس على ربِّها. وهذا الإقبال لا يكون إلا بالصلاة، تلك الصلاة التي تجتمع فيها النفس بكلِّيتها مقبلة على ربِّها وبهذا الجمع والإقبال تستنير بنور الله، ذلك النور الذي يكشف لها الحقائق المستكنَّة وراء الصور والظواهر. فالمدارُ إذاً كله على الصلاة، وعلم اليقين لا يكون إلا بالصلاة، وما الخلاص من الشرور إلا بالصلاة، قال تعالى:

﴿..إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ..﴾[1].

ولكن كيف تجتمع النفس في الصلاة بكلِّيتها؟. وما هي الشروط التي إذا تحققت استطاعت النفس أن تُقبل على ربِّها؟.

أقول هنالك شرطان أساسيان:

1. فأما الأول: فهو الاستقامة على أمر الله، ومن دونه لا تكون الصلاة، لأن النفس العاصية إذا وقفت في الصلاة وقفت خجلى من ربِّها فلا تستطيع أن تقبل عليه تعالى.

2. وأما الشرط الثاني: فهو أن تستقبل النفسُ الكعبةَ، ذلك البيت الذي طهَّره الله بتجلِّيه المتواصل عليه من دخول الشيطان فيه. فإذا وقفت النفس للصلاة في ذلك البيت المحرَّم، انقطعت عنها الوساوس، وأصبحت مستعدَّة للإقبال.

ومن جهة ثانية: النفس وهي قبسٌ من نورٍ، إذا وقفت في تلك البقعة المباركة فهنالك يجتمع نورها بكلِّيته ولا يعود مشتتاً هنا وهناك، ويكون مثلها كمثل شمعة حُصرت في غرفة صغيرة مظلمة، فعندها يضيء نورها ما حولها، بخلاف ما إذا كانت موقدةً في فلاةٍ واسعة.

(1) سورة العنكبوت: الآية (45).

فهذه النفس المحفوظة من الوسوسة والمجتمعُ نورها إذا هي أقبلت على ربها فعندها يستطيع نورها أن يكشف لها من أسماء ربِّها، فتشهد طرفاً من الكمال الإلَهي الذي لا يتناهى، وهنالك تستعظم خالقها وتحبُّهُ، وتجد أن الحمد والثناء على ربِّها في صلاتها وأن ذلك التسبيح والتمجيد الذي تتلوه بلسانها في قراءتها إنما هو حقائق ظاهرة لها، فهي تشعر بها وتتذوقها بذاتها.

ثم إنها بهذا الشعور والذوق تنطبع فيها انطباعات من الكمال الإلَهي الذي شهدته، فإذا هي تَلَتْ أوامر ربِّها شهدت ما فيها من الخير، وإذا هي تَلَتْ نواهيه رَأَتْ ما في مخالفتها من الشرِّ، ويكون هذا العلم الذي تكسبه النفس في مثل هذا الحال علماً بحقائق الأشياء، أي: بما فيها من الشرِّ أو الخير فذلك هو العلم الحقيقي الذي سمَّاه تعالى بعلم اليقين.

ونريد الآن أن نضرب مثلاً نميِّز به العلم الظاهر عن العلم بحقيقة الشيء **فنقول**: السمكة بعينها الظاهرة لا ترى إلا قطعة اللحم التي رماها لها الصياد في صنارة الشصِّ، ولو كان لها بصيرة ونور نافذ قوي لرأت الشوكة التي انطوت عليها قطعة اللحم، ولشاهدت الموت المستكن وراء الطعم، وهنالك تعاف قطعة اللحم فلا ترغب فيها ولا تميل إليها.

ولو أن الكلب كان ذا بصرٍ نافذ لرأى السمَّ الذي يدسُّ له أحياناً في قطعة اللحم ولشاهد ما يتبع تناوله لها من الآلام التي تنتهي به حتماً إلى الموت.

وكذلك الإنسان إذا أصبح ذا بصيرة، وإن شئت فقل ذا نفسٍ مستنيرة بنور الله فعندها يرى حقائق الأشياء ولا تعود تغرُّه الشهوات الدنيا، أي: الدنيئة أي: أنه يرى ما فيها من المضارِّ، وما تنطوي عليه من النار، تلك النار التي ستضطرم في نفسِ من يتناولها، وذلك ما سمَّاه الله تعالى بالجحيم، فقال تعالى: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾

أي أنكم لو أقبلتم واستنرتم وعلمتم علمَ اليقين لرأيتم ما في الشهوات الدنيا من الجحيم.

ثم بيَّن تعالى أن كل إنسان لا بدَّ وأن يشهد حقيقة الدنيا ويراها رؤية حقيقية فيرى الشرَّ المستكن في شهواتها بعد الموت، كما رآه في الدنيا من حصل له علم اليقين. قال تعالى:﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾

أي: سترون حقائق الشهوات والشرَّ الذي انطوت عليه بعين اليقين، أي: بعين النفس لا بعين الرأس، ببصائركم لا ببصركم، وسترون الحقائق ظاهرة لكم، تشهدون حقائق ما كسبتم. ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

فهذا النعيم الذي ينعُمُ به المعرضون عن الله في الدنيا، وتلك اللذائذ المحرَّمة ستنقلب عليهم حسرات، وسيجدون من ورائها مسؤولية كبرى تتبعها أنَّات وزفرات، ورُبَّ لذّة آنية أعقبتها آلام أبدية، ومن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وإذاً فالمدار كلُّه على الصلاة، تلك الصلاة التي تكلَّمنا عنها، حيث تشهد النفس فيها الحقائق فترى ما في المعاصي من الشرور والأذى، وما في الطاعة من الخيرات.

(وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)[1].

❁ ❁ ❁

النشاط الذاتي:

1- علي أن أبعد نفسي عن اللهو واللعب والانصراف إلى ملذات الحياة الدنيوية، وأشغلها بفعل الخير والمعروف لأنها الوسيلة الوحيدة للقرب من الله تعالى.

2- أن أنظر دوماً في نفسي وبما خلقه الله في هذا الكون من الآيات مقدراً ما تفضل الله به عليّ من نِعم، وشمولي برعايته وكبير عنايته بي مذ كنت جنيناً حتى بلغت أشدّي متذكراً المراحل التي مررت

(1) سورة العنكبوت: الآية (6).

بها أثناء خلقي حيث أنني بافتقار دائم إلى إمداده وعطفه سبحانه وتعالى.

3- احفظ سورة التكاثر من أستاذك جيداً، وتعاون أنت وأصدقاؤك على حفظها والوصول لعلم اليقين الذي أمر الله تعالى به في هذه السورة الكريمة.

الأسئلة:

1- السورة الكريمة تبين أنه لن ينفع الإنسان جمع المال ولا التكاثر من الدنيا، فما هو الشيء الثمين الذي ينفع الإنسان ويجعله كريماً عند خالقه تعالى؟.

2- لماذا يستقبل المؤمن الكعبة المشرفة في صلاته؟.

3- قال تعالى ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ لماذا تكررت الآية مرتين؟.

4- ما هو علم اليقين الذي أشارت إليه السورة الكريمة والذي أمر الله تعالى الناس بالوصول إليه؟.

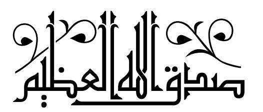
5- لماذا تنقلب اللذائذ المحرمة على الإنسان حسرات يوم القيامة؟.



سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾



الدرس الرابع

تأويل سـورة القارعة

طلابنا الأعزاء: لقد جاءت هـذه السـورة الكريمـة لتبيِّن لنـا شـأن ذلـك اليوم الذي تقع فيه الصيحة، فيقف الخلـق جميعـاً بـين يـدي الله. وهنالـك يتقرر المصير ويكون الفصل بين الشقي والسعيد، ففريقٌ في الجنَّة، وفريقٌ في السعير.

قال تعالى: ﴿**ٱلْقَـارِعَةُ**﴾

فما هي **الْقَارِعَةُ**؟.

الْقَارِعَةُ: مأخوذة من القرع وهو أن يصدُم شـيءٌ شيئاً آخر. فتحصـل من أثر هذا الصدم هزةٌ نفسيةٌ وأثر مزعج.

يُقال: قرع الباب: إذا كان في طرقه ما يهز النفس ويزعجها.

ويُقال: قرع جُلجُلُ المدرسة، لما ينشأ عن القرع من هزةٍ في الـنفس تقطـع عن التلميذ استرساله في اللعب والمرح أو هـدوءه واستسـلامه للـدرس، وفي كلا الحالين هزَّةٌ للنفس.

والمـراد **بالقارعـة** الـواردة في هـذه الآيـة: تلـك الصـيحة التـي تسـمعها الأنفس يوم القيامة بعد الخروج من القبور.

فالناس بعد خروجهم من قبورهم، وعودة أرواحهم إلى أجسادهم، ينادى بهم للوقوف بين يدي ربِّهم، فإذا سمعوا الصيحة، وجَفَتْ قلوبهم، واهتزَّتْ من الفزع نفوسهم.

إذاً **القارعة**: تلك الصيحة التي تنزعج منها النفوس المعرضة، وتهتزُّ لها القلوب الغافلة عن الله في ذلك اليوم العظيم الذي يتقرر فيه المصير. وبما أن **القارعة** وردت في الآية الأولى عامة، وتشمل كلَّ نداء وصيحة تنشأ على أثرها هزةٌ نفسيةٌ مزعجة، لذلك أراد تعالى أن يعرِّفنا بهذه القارعة فقال تعالى: ﴿ **مَا ٱلْقَارِعَةُ** ﴾

أي: ما هذه القارعة؟. وأي قارعة هي؟. ثم بيَّن تعالى عظيم أمرها وكبير أثرها فقال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ** ﴾

أي: ما أعظمها عليك أيها الإنسان، وما أشد أثرها في نفسك. ثم بيَّن تعالى يوم وقوعها بقوله الكريم:

﴿ **يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ** ﴾

والفراش: هي تلك الحشرات الضعيفة الخفيفة التي مع ضعفها لا تكاتف بين أفرادها ولا اتحاد ولا قوة لها على الوقوف أمام أضعف المؤثرات التي تقع عليها.

والمبثوث: هو المنتشر، فالناس يومئذٍ ضعفاء متفرِّقون أشبه بالفَراش، وهم يومئذٍ منتشرون على صعيد واحد، واقفون بين يدي ربهم ينتظرون الفصل ليروا نتائج أعمالهم. ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾

والعهن: هو الصوف. **والمنفوش**: هو المتباعد الأجزاء. فالجبال الصلبة المتماسكة الآن ستكون في ذلك اليوم كالصوف المنفوش، فهي قائمة منتصبة ولكنها مُتخلخلة متفرقة الذرَّات، فلا تماسك ولا ترابط بين ذرَّاتها.

فإذا كان هذا شأن الجبال العظيمة الصلبة بين يدي ربها في ذلك اليوم فما حَوْلُكَ وما قوّتك يوْمئذٍ أنت أيها الإنسان؟.

ثم بيَّن تعالى نتائج الناس ومصيرهم فقال سبحانه وتعالى:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾

والموازين: جمع ميزان. وثِقلُ الميزان إنما يكون على حسب ما يوضع فيه من عمل ثقيل. ويكون العمل الثقيل ثقيلاً على حسب ما فيه من نيَّةٍ صادقة وإخلاص.

فالعمل الذي يريد به صاحبه وجه الله تعالى، ولا يبتغي من ورائه فائدةً دنيوية ولا منفعة شخصية، هذا العمل يكون ثقيلاً لما انطوى عليه من

الصدق، ولما ينشأ عنه من الخير. فقد يتكلم الإنسان بكلمةٍ تكون سبباً في هداية شخص، ومن ورائه أشخاص كثيرون، فهذه الكلمة إنما هي ثقيلة عند الله لما يتولد عنها من الخيرات. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1].

ولكن ما هو المراد من ثقل الميزان؟.

إن ثقل الميزان لا يعني رجحان كفةٍ على كفة، إنما المراد أن تتكوَّن لدى الإنسان الثقة بإحسانه، تلك الثقة التي تُنسيه كلَّ سيئةٍ.

فإذا قدَّم الإنسان عملاً من أعمال الخير العظيمة، فعندها يرجح عمله على سيئاته، فتنسى نفسه كل سيئة. وبنسيانها لسيِّئاتها يتيسَّر لها طريق الإقبال على ربِّها، وبإقبالها يحصل الشفاء والطهارة، وتخلص بذلك من كل علَّة، وتصبح أهلاً لكل إكرام ونعمة، فتدخل الجنة، ويغمرها الله بإحسانه، وتحيا حياةً طيبة، وهذا ما تعنيه آية:

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾

(1) سورة إبراهيم: الآية (24-25).

فهذا الإنسان إنما هو في عيشة راضية لما يُقدَّم له من الإكرام الإلٓهي العظيم، ذلك الإكرام التام المتمادي في الازدياد، والذي لا تشوبه شائبة، ولا يَعْرُضُ له نقصان. ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾

وذلك بأن كانت أعماله صادرة عن مطامع شخصية وغايات دنيوية، فهذا الرجل لا وزن لأعماله، لأنها مجردة من كل خير، خالية من كل فائدة، ولذلك تظهر له يوم القيامة خفيفة لا وزن لها، وعندها تتراءى له سيئاته فيقف بين يدي ربه خجلاً، ويحول خجله بينه وبين الإقبال على الله، فيبقى مريض النفس ويصيح ألماً، ثم يستغيث مُستنجداً، عندها يُساق إلى النار، ولذلك قال تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾

والأم: هي التي يؤمُّها الإنسان ويأوي إليها، فيجد في أحضانها عطفاً ورحمة والنار للمجرم أمّ لأنه يؤمُّها بسبب ما فيه من ألم وأوجاع، وهي هاوية لأنه يهوي عليها ويرتمي في أحضانها ليكون حريقها وسعيرها دواءً له يخفف عن نفسه آلامها وأوجاعها. وقد أراد تعالى أن يبيِّن لنا شأن النار وخطرها، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾

ثم أجاب تعالى بقوله: ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾

وإذاً فالعمل الصالح سبب الإقبال، وفي الإقبال شفاء وحياة. والعمل السيِّء سبب الإدبار، وفي الإدبار ممات النفس والهلاك، وإنه لا بدَّ للإنسان من عمل صالح يجعله يقبل بوجهه على الله، ومن لا عمل صالح له يُخشى عليه من الهلاك. وفي الحديث الشريف: «**يكاد الفقر أن يكون كفراً**»[1].

وليس المراد من الفقر فقر المال، وإنما المراد هو الفقر بالخير، والتقصير في الأعمال الصالحة.



التدريبات:

احفظ سورة القارعة من أستاذك جيداً، واحرص على فهم معانيها السامية واطلب من الله تعالى أن يرزقك أعمال الخير والإحسان وأن تكون خالصة لوجهه تعالى كي يُقام لك وزن يوم القيامة.

(1) رواه البيهقي وغ ه مرفوعاً.

الأسئلة:

1- إلى ماذا تُشير كلمة (**الْقَارِعَةُ**) ؟.

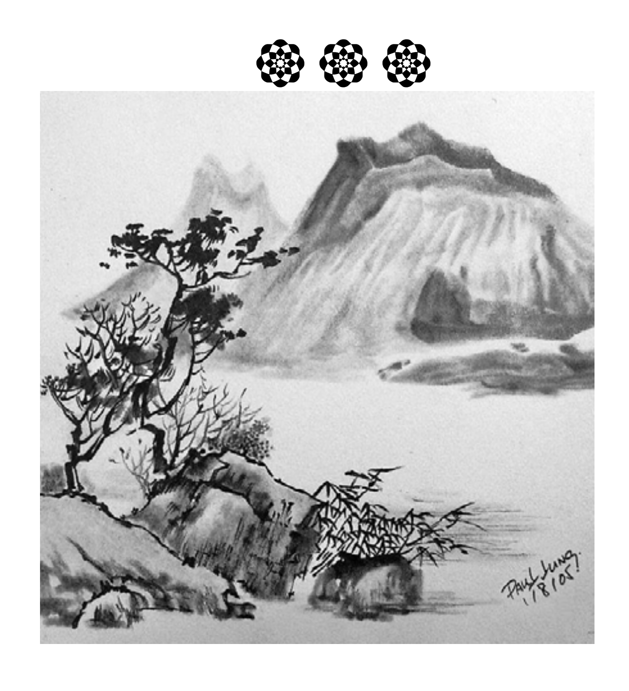
2- لماذا وصف تعالى حال الناس يوم القيامة (**كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ**) ؟.

3- ما هو الشيء الذي يجعل عمل الإنسان ثقيلاً عند ربه؟.

4- لماذا وصفت السورة النار يوم القيامة بالنسبة للمعرض بأنها أمه بقوله تعالى: ﴿ **فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ** ﴾ ؟.

5- اشرح الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «**يكاد الفقر أن يكون كفراً**».

❁ ❁ ❁



سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

صدق الله العظيم

الدرس الخامس

تأويل سورة العاديات

عزيزي الطالب: في هذه السورة يريد الله تعالى أن يبيِّن لنا بعض الآيات الكونية التي تدلُّ الإنسان على عظمة خالقه، وتعرِّفه بعظيم فضله وعنايته به فلعلَّه يستيقظ من غفلته ويصحو من سكرته، فيرجع عن إعراضه وكفره ويثوب إلى رشده، ولذلك قال تعالى:

﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾

فهذه الآيات الخمس تلفت نظرك أيها الإنسان إلى ذلك النظام البديع الذي تنزل به الأمطار، وتتوفَّر لك بواسطته المياه في العيون والآبار. وقد ذكر لنا تعالى هذه الآيات على وجه الترتيب كما تقع وكما يراها الإنسان، فقال تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾

والعاديات: جمع عادية، مأخوذة من عَدَا، أي: ركض وجرى. **والعاديات** هنا: هي الرياح تجري بصورة مستمرة متنقِّلة في الطبقات الجوية حسبما تصرِّفها يد القدرة الإلهية من جهة إلى جهة أخرى ومن مكان إلى آخر.

والضبح: هو الصوت، يُقال: ضبحت الخيل في عدوها، أي: أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة، وضبحت الأرنب، وضبح الثعلب، أي: صوَّت... وضبحُ الرياح: صوتها الذي يُسمع منها أثناء جريها، وضبح الرياح هو الأصل اللغوي لها، إذ إن ضبح الخيل والأرنب والثعلب إنما وضع لصوت جريان الهواء في أفواهها، فضبح الرياح هو الصوت الجامع لها كلها.

ويكون ما نفهمه من آية: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾:

أي: انظر أيها الإنسان إلى هذه الرياح في جريها، وإلى ذلك الصوت المنبعث عنها، وتطلَّع من ذلك إلى هذا الربّ العظيم الذي يُرسلها لك ويصرِّفها فكِّر في ذلك، تُدرك من ورائها عظمة خالقها وقدرة مُرسلها.

ثم بيَّن تعالى لك آية ثانية من آياته فقال سبحانه: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾

والموريات: جمع مورية، **والمورية**: هي المُخرجة الشَّرر أو النار، يُقال: أوْرى فلانٌ النار، أي: أشعلها. وأوْرى الزند، أي: أخرج ناره.

والمراد بالموريات هنا: أي الغيوم. **والقدْحُ**: هو الطعن، وأن يصدُم شيءٌ شيئاً، فيخرج من ذلك شررٌ ونار. يُقال: قدح فلان بالزَّند، أي: حاول إخراج النار به، وقدح عود الثقاب، أي: صكَّه بالعلبة ليخرج النار.

والمراد **بالمُورِيَاتِ قَدْحاً**: الغيوم تحتكُّ ببعضها وتقدح، فينشأ عن هذا القدح شرارات كهربائية، وبرق لامع. فمن الذي ساقَ لك هذه الغيوم؟. ومن الذي جعل فيها هذه الكهربائيات؟. ومن الذي يجعلها تحتكُّ وتقدح فينشأ عنها هذا النور والضياء؟. ثم بيَّن لنا تعالى آية ثالثة من آياته فقال: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾

والمغيرات: جمع مغيرة، والمغيرة: هي المسرعة في سيرها ووقوعها. والمغيرة هي المغيثة. يقال: أغارنا الله بالمطر، أي: أغاثنا. والمراد **بالمغيرات** هنا: الأمطار فهي تغير، أي: تنصبُّ انصباباً، وهي تغير، أي: تُغيث الناس فينبت بها الزرع ويحيا الضرع، **والصبح** هو الشيء الظاهر البيِّنُ، يُقال: أصبح الحقُّ، أي: استبان ووضَحَ. وأصبح الصباح: أضاء.

وصبحاً: هنا يُبيِّن حال الأمطار في ظهور نفعها للخلق، فالله تعالى يقول: عبادي انظروا إلى الأمطار كيف أنها تغير على الأرض، فتغيثكم غياثاً ظاهراً بيِّناً كالصبح!.

ثم بيَّن لك تعالى آية رابعةً من آيات رحمته وكرمه بك، وفضله عليك، فقال تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾

وأَثَرَ: بمعنى نَقَلَ وحَفِظَ. ومنه الحديث المأثور عن الرسول ﷺ، أي:

المنقول والمحفوظ. والنون في كلمة (**أثرن**) إنما تدل على أسماء الله تعالى من رحمةٍ وإحسانٍ وعطفٍ وحنانٍ وغيرها من الكمالات الإلَهية.

والهاء: من كلمة (**به**) إنما تدلُّ على ذلك النظام الذي بواسطته صار نزول الأمطار، **والنقع**: هو الماء المجتمع، ويكون مُجمل ما نفهمه من آية:

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾

أي: وإنني يا عبادي برحمتي وإحساني وعطفي وحناني نقلتُ لكم بذلك النظام البديع مياه الأمطار وحفظتُها لكم في تلك المستودعات.

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾

ووسط الشيء، أي: جعله في مكان متوسط، والنون في كلمة (**فوسطن**) تعود أيضاً على أسماء الله تعالى الحسنى. **والهاء**: من كلمة (**به**) ترجع إلى النقع، أي: الماء المجتمع. وكلمة (**جمعاً**) تعني: جميع المخلوقات الحية من إنسان وحيوان ونبات.

ويكون مُجمل ما نفهمه من آية: **﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾** أي: إنني برحمتي وحناني وما إليها من أسمائي سيَّرتُ لكم هذا الماء المجتمع من فتحات معيَّنة وبمعايير مناسبة، فكانت منه العيون والأنهار التي تجري متخلِّلة الأرض بحيث تستفيدون منها جميعاً.

وبعد أن ذكر تعالى للإنسان من الآيات الدالة على فضله وكبير قدرته، أورد الآية الآتية في صيغة العجب والعتاب لهذا الإنسان فقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾

أي: أفبعد هذا الفضل والإنعام؟. أبعد هذا المنِّ والإكرام، أبعد عناية خالقك بك وتسخيره هذا الكون كله من أجلك تكون كنوداً؟. أي: غير مكترثٍ بفضل ربك، فلا ترى رحمته بك ولا فضله وإحسانه عليك.

﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾

أي: وإنك لشاهد هذا الكون كلَّه الذي يعمل من أجلك. فهذه الرياح تعدو جارية لتجمع ذرَّات بخار مياه البحار وتسوق لك السحاب، والسحب تتكاثف وتقدح لتنزل لك الأمطار، والأمطار تهطل حاملةً ما تحمل من المواد التي تنبت الزرع، والأرض والينابيع تخزِّن المياه ثم تأتيك بمقدار مناسب مع حاجتك وحاجة زرعك. فأنت ترى هذا الفضل وهذه العناية، وتشهد هذا التسخير والتدبير، ثم تكفر بخالقك ولا تتذكر ولو قليلاً نِعَمَ ربِّك وفضله عليك. ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾

أي: وأنت لما أحبَّه لك ربك من الخير لشديدُ البخل على نفسك، فتهرب من الإقبال عليه تعالى، وفي إقبالك عليه حياتك وسعادتك!.

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾

والمراد من: (أَفَلاَ يَعْلَمُ): الحثّ والتحضيض. و(بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ): تعني خروج الناس من قبورهم.

ويكون المراد من الآية الكريمة، أليس من الواجب على هذا الإنسان أن يتعرَّف ويعلم ما سيكون عليه مصيره: إذا صار يوم القيامة وخرج من قبره أهو غافلٌ لا يفكر بذلك اليوم الذي تتوقف عليه سعادته؟. ثم بيَّن تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾

أي: أليس من الضروري اللازم عليك أيها الإنسان أن تتعرَّف إلى ذلك اليوم الذي يُحصَّل فيه ما في الصدور؟! أي: تظهر مخبَّآتُ النفوس وما كمُنَ فيها من الشهوات والشرور.

نعم، لا بدَّ لك من معاينة هذا اليوم، ولا بدَّ من ظهور حقيقتك، فترى حينئذٍ ما انطوت عليه نفسك من خير أو شرٍ، من صحة أو مرض، وعندها لا بدَّ لربك الرحيم بك من إعطائك ما يوافقك، فهو عليم بك، ولذلك يسوقُ لك ما يناسب حالك، ولذا قال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾

أي: إنَّ هذا الرب الرحيم عليم حكيم، فهو يسوق لكل امرئٍ ما

يناسب حاله ويواتيه، فإن أنت نظرت في هـذا الكـون واتَّعظـت بـما فيـه، وإن أنت عرفت نِعَمَ ربِّك واستدركت أمرك، وأقبلت عليه فلك الحسنى والخير، وإن أنت أصـررت على إعراضـك وظللـت مُسـتمراً في ضـلالك فلك المداواة والمعالجة، وفي المداواة والمعالجة ما فيها مـن الكـرب العظـيم والعذاب الأليم.



التدريبات:

احفظ سورة العاديات من أستاذك جيداً، وتعاون مع أصدقائك وأهلك بالبيت على فهم معانيها السامية ودراسة ما جاء فيها مـن البيـان العظـيم، فالنظر والتفكر بما ورد بهذه السورة الكريمة لوحدها يوصلك إلى الإيمان الحقيقي ويجعلك من العلماء الأتقياء.



الأسئلة:

1- إلى ماذا تُشير الآيات الخمس الواردة في بداية سورة العاديات؟.

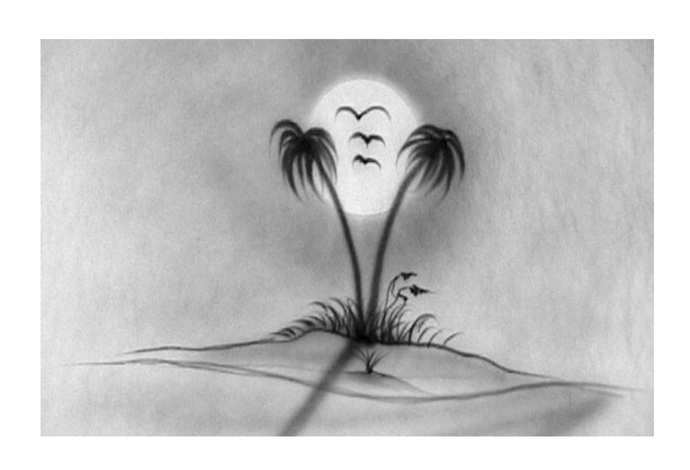
2- ما المقصود من حرف النون بكل من كلمة (**فَأَثَرْنَ**.... **فَوَسَطْنَ**)؟.

3- لماذا وصف تعالى حال المعرض عنه بكلمة (**لَكَنُودٌ**) وإلى ماذا يدل هذا التعبير؟.

4- ﴿**وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ**﴾: إلى ماذا تدل كلمة (**ذَٰلِكَ**) الواردة في الآية الكريمة؟.

5- ما هو الشيء الموجود في الصدور؟.





سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾



[الزلزلة: 1-8]

الدرس السادس

تأويل سـورة الزلزلة

طلابنا الأعزاء: بدأ تعالى هذه السورة ببيان ما سيحدث للبشـرية جمعاء في يوم القيامة.. ذلك اليوم العظيم ليحذر الإنسان من الإسترسال في محبة الدنيا وليعلم أنه سيلاقي كل أعماله صغيرها وكبيرها ماثلة أمامه ليحاسب عليها.

فقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾

والزلزال: هو الهزَّة العنيفة والاضطراب، يتبعها تفرُّق الأجزاء وانفكاك الترابط بين الذرَّات، فالأرض كلها في قبضة الرحمن، وهي الآن مترابطة متماسكة الأجزاء، فإذا جاء أمر ربِّك وزُلزلت الأرض في ذلك اليوم العظيم تفرَّقت أجزاؤها وزال هذا الترابط بين ذراتها وعادت تلك الأنفس المجتمعة على بعضها متفرِّقة متفكِّكة ورجعت إلى أصلها.

﴿...كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[1].

ولكن ما الذي يتبع هذه الهزَّة والزِّلزال؟. لقد بيَّن لنا تعالى ذلك بقوله:

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾

(1) سورة الأنبياء: الآية (104).

والأثقال: جمع ثِقلْ، والمراد بهم الناس الذين وارتهم الأرض تحت ترابها وضمَّتهم في بطنها، فهم أثقال الأرض لما بين أيديهم من أعمال ثقيلة لهم إن كانت خيراً، وعليهم إن كانت شراً.

فإذا حدث ووقع هذا الزلزال فهنالك تُخْرِجُ الأرضُ هؤلاء من بطنها وتجعلهم على ظهرها. وهنالك وعندما يخرج الإنسان من قبره وتُخرجه الأرض من بطنها، يُدهش لهذا ويتساءل عمَّا جرى ولذلك قال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾

أي: وما بالُ الأرض؟. وما حدث فيها حتى اهتزَّت اهتزازاً، وزلزلت زلزالها وأخرجتنا من بطنها؟.

وهنالك وبعد استفاقة الإنسان الكبرى يعلم أنه صار في اليوم الموعود، يوم الجزاء على الأعمال الذي كان حدَّثه عنه ربُّه في الدنيا. وأن الأرض إنما زُلزلت وأخرجتْ من فيها بأمر من الله تعالى. ثم إن الأرض بعد ذلك ستتحدَّثُ لك بما كنت فعلته على ظهرها. فكل عملك محفوظٌ وحقائقه ماثلةٌ لا تنمحي ولا تزول.

فإذا كان يوم القيامة أوحى الله إلى الأرض بأن تحدِّث بما جرى عليها، وبما كان فعله الإنسان على ظهرها خيراً كان أو شراً، ولذلك قال تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾

ولكن ماذا يكون عليه حال الناس بعد وجودهم في هذه الحياة الثانية.

إنهم سيكونون أشتاتاً، أي: متفرِّقين، فكل امرئٍ قد أهمَّته نفسه، وشغله أمره والكلُّ يصدرون ويسيرون ليروا أعمالهم، تلك الأعمال التي كانوا قدَّموها في الحياة الدنيا، وإذاً فيوم القيامة إنما هو يوم رؤية الأعمال، ويوم الجزاء على الأعمال وما هذه الحياة الدنيا إلا سوق يتزوَّد فيه الإنسان ما شاء من الأعمال، وفي ذلك اليوم الآخر يرى كل امرئ ما جمع وقدَّم، وقد بيَّن لنا تعالى ذلك بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾

ومن رحمة الله تعالى وعظيم رأفته أن شوَّقنا إلى فعل الخير، وحذَّرنا وأنذرنا من فعل الشر، فقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾

أي: فمن يعمل منكم يا عبادي في دنياه هذه خيراً مهما كان قليلاً ولو كجزء صغير من هذه الذرَّات التي نراها تطير في شعاع الشمس، فإنه لا بدَّ له من رؤية ذلك الخير والجزاء عليه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾

وإن كنت فعلت في دنياك شراً ولو كمثقال ذرَّة فلا بدَّ لك من أن تشهده وتراه، وإن كل عملك مُسجَّل مكتوب، وحقيقته محفوظة لا تزول

وستُجزى عليه إن شراً فشر، وإن خيراً فخير.



التدريبات:

احفظ سورة الزلزلة من أستاذك جيداً، واحرص على الاستقامة وأعمال الخير، وتذكر دائماً أن الله تعالى سيحاسبك على كل أعمالك صغيرها وكبيرها ولو تكلمت كلمة واحدة فإن الله تعالى سيحاسبك عليها يوم القيامة.

الأسئلة:

1- ما هو الشيء الذي تريد السورة الكريمة من خلال مطلعها ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا**﴾ أن تعرِّف الإنسان عليه؟.

2- ما معنى كلمة (..**أَثْقَالَهَا**) الواردة في سورة الزلزلة؟.

3- لماذا يقوم الناس يوم القيامة (**أَشْتَاتًا**)؟.

4- اشرح قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا**﴾.

5- هل يتم التغاضي يوم القيامة عن الذي يعمل سيئات صغيرة بحجم الذرة؟ وضّح ذلك.



سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

الدرس السابع

تأويل سورة البينة

أعزائي الطلاب: أرادت الرحمة الإلۤهية في هذه السورة أن تُبيِّن لنا عطف رسول الله ﷺ على الخلق وحنانه على الناس.

فرسول الله ﷺ كان يتمنى لو يستطيع هداية الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، فيقيلُ عثارهم، ويبدِّد الشقاء عنهم، بأخذه بأيديهم إلى الإيمان ذلك الإيمان الذي ينتقل به الإنسان من الجحيم إلى النعيم، ومن التعاسة والشقاء إلى ظلال السعادة والهناء، وهذه الرغبة الملحَّة كانت ملازمةً رسول الله ﷺ تكاد لا تفارقه، عطفاً منه وحناناً على عباد الله أجمعين.

وقد أراد تعالى أن يبيِّن لرسوله ﷺ إصرار هؤلاء على كفرهم، وهو سبحانه العليم بهم وبما انطوت عليه قلوبهم من الميل إلى الدنيا، وبما استقر في نفوسهم، فقال تعالى: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾:

فالله سبحانه وتعالى يُخبر رسوله الكريم ﷺ بأنَّ هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب، وهم فريقٌ من بني إسرائيل الذين أقرُّوا لله بالوحدانية

ولموسى عليه السلام بالرسالة غير أنهم كفروا بالله، فلم يروا فضله ونعمتهُ ولم يقـدِّروا إحسانه، وأعرضوا عن الرسول عليه السلام فلم يقدِّروه ولم يطيعوه ولم يتَّبعوا دلالته.

وكذلك الذين كفروا وكان كُفرهم ناشئاً عن إشـراكهم، أعنـي الـذين عرفوا أن لهم خالقاً مربِّياً، غير أنهم أشـركوا بـه وزعمـوا أن لـه شـريكاً، فهذان الفريقان المذكوران لا يمكن أن ينفكُّوا عن كفرهم وعمَّا هُـم عليـه من الضلال حتى تأتيهم البينة.

فما هي **البيِّنة**؟.

البيِّنة: لغةً هي الشـيء الواضح الظاهر، وهي أيضاً: الدليل والحجة، فـما هو المراد من (**البيِّنـة**) الـواردة في هـذه الآيـة الكريمـة؟.لقـد وضَّـح ذلـك تعالى بقوله: ﴿**رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ**﴾

فالبيِّنة إذاً: رسول من الله. ولكن من هو هذا الرسول؟.

إنه سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، فحيث إنه وُلـد مـن أمٍّ بغـير أبٍ، وتكلَّـم في المهد، وحيث إنه أبرأ الأكْمَهَ والأبرص، وأحيا الموتى بإذن الله، ذلك كله **بيِّنة** على أنه رسول من الله. ولكن ماذا سيتلو هذا الرسول الكريم على الناس؟.

لقد بيَّن لنا تعالى ذلك بقوله: ﴿**يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً**﴾

والصحف: جمع صحيفة. والمراد بها سُوَرُ القرآن الكريم سُـمِّيت صُـحُفاً

لأن الصحيفة تحوي بياناً كاملاً. يُقال: اطَّلع فلان على صحيفة أعماله.

فكل سورة من سُور القرآن الكريم إنما هي كاملة في ذاتها، تبدأ بمقدِّمة وتنتهي بنتيجة، وهي كلها إنما تدور حول تقرير فكرةٍ واحدةٍ بما تتضمَّنه من ذكر العبر والوقائع والأمثلة.

وكلمة (**مطهَّرة**): تبيِّن لنا شرف هذه الصحف، فكلُّ ما فيها حق وخيرٌ وهي مطهَّرة من كل شائبة، وباتِّباعها تحصل للإنسان الطهارة النفسية.

ولا تنسَ ما في كلمة (**يَتْلُواْ صُحُفاً**) من إشارة إلى مجيء سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان. فزمن ظهوره قريب جداً جداً فقد وقعت كل الأشراط والدلائل الدالة على قدومه ولم يبق إلا علامة واحدة فقط[1].

كذلك فإن التعبير بتلاوة الصحف لا يكون إلا إذا كانت هذه الصحف معروفة منَزَّلة من قبل.

فسيدنا عيسى عليه السلام إذاً سيتلو على الناس تلك الصحف المطهَّرة التي جاء بها سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. تلك الصحف التي جمعت بين طيَّاتها سائر الكتب المنَزَّلة من قبل التوراة والزبور والإنجيل ، ولذلك قال

(1) لطفاً انظر كتاب (السيد المسيح رسول السلام يلوح بالأفق) للعلَّامة الإنساني الكبير محمد أمين شيخو.

تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾

والقيِّمة: مؤنث قيِّم، والقيِّم: هو القائم على غيره المسيطر عليه، يُقال: فلانٌ قيِّم في منْزله، وقيِّمٌ في دائرته.

ويكون مُجمل ما تفيده هذه الآية: أن القرآن الكريم حوى ضمنه التوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلَهية ، تلك الكتب التي جاءت بالحق، فكان الحقُّ مهيمناً وقائماً في وجه الباطل الذي هو زاهق، وهي والحالة هذه كتبٌ قيِّمة.

ثم إن الله تعالى بعد أن بيَّن لنا الموعد الذي سينفكُّ فيه أولئك عن كفرهم وضلالتهم، وبعد أن بين لنا ما سيتلوه ذلك الرسول الكريم من الصحف المطهَّرة التي تضمَّنت تلك الكتب القيِّمة الدالَّة على طريق الحق والسعادة، أراد تعالى أن يبيِّن لنا أن الحق واحدٌ لا يتعدد، وأن الدين الحق هو طاعة الله وحده واتِّباع أوامره، فإذا اتَّبع البشر هذا كانوا أمَّةً واحدة.

غير أن بني إسرائيل لَمَّا جاءهم سيدنا عيسى عليه السلام بالبيِّنات انقسموا وتفرَّقوا، ففريق ادَّعى أنه تابع لموسى عليه السلام غير أنهم في الحقيقة أعرضوا عن الله وانحرفوا عن طريق الحق والهدى وكفروا برسول الله سيدنا المسيح عليه السلام والحواريون هم الفريق الآخر الذين تابعوه وبعد هجرته مع

أمّه عليهما السلام بأمر من الله تعالى إلى غارٍ بربوةٍ ذات قرار ومعين[1] إلى حين ظهورهما على سحابة من المجد عند قيام الساعة الكبرى فأيَّده هؤلاء الحواريون رضي الله عنهم ونصروه وآمنت روما على أيديهم.

﴿ ...فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[2]، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾

أي: عندما جاءت البينة وهو سيدنا المسيح عليه السلام في المرة الأولى تفرق الذين أوتوا الكتاب واختلفوا فيه وهم اليهود، تفرقوا عندما جاءتهم البينة وغدوا فريقين (يهود ونصارى).

ومن هذه الآية الكريمة يتبين بوضوح أن البينة هو سيدنا عيسى المسيح عليه السلام

لأن بني إسرائيل لم يكونوا متفرقين قبل بعثته الشريفة، وإنما حدث التفرق والإختلاف بينهم بعد بعثته الأولى، وسيكون انفكاك الذين كفروا منهم عن كفرهم عند عودته الثانية وسيؤمن به عليه السلام كل أهل

(1) ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ سورة المؤمنون (50).

(2) سورة الصف: الآية (14).

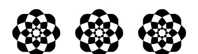
الكتاب كما قال تعالى:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[1]



التدريبات:

- كل أشراط الساعة وعلامتها قد أكتملت، وليس المراد بالساعة هنا يوم القيامة إنما المقصود هو ساعة هلاك الأمم الفاسدة وعودة السيد المسيح عليه السلام ليقيم الدين الحنيف من جديد ويجمع المؤمنين ويسود العدل والسلام، وفي القرآن الكريم أدلة كثيرة على عودة السيد المسيح عليه السلام، ادرس وابحث بالقرآن الكريم واذكر دليلاً على عودته الثانية المرتقبة.
- ادرس وابحث في القرآن الكريم واذكر علامة من علامات الساعة.



(1) سورة النساء: الآية (159).

الدرس الثامن

تتمة تأويل سورة البينة

لقد كشف تعالى في سورة البينة ما امتلئ به قلب رسول الله سيدنا محمد ﷺ من العطف والرحمة والحنان والشفقة على أهل الكتاب والمشركين وأنه كان يعمل بجد ويأمل بأن يأخذ بأيديهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولقد بيَّن له ربه عز وجل في مطلع السورة الكريمة أن الذين كفروا منهم لن ينفكوا عن كفرهم ولن يتركوا ضلالهم حتى عودة سيدنا المسيح عليه السلام الثانية ولقد ندد تعالى بتفرقهم وكفرهم وقرَّعهم على تمسكهم بالباطل، وبيَّن أن التشيُّع لمذهب دون مذهب ولدين دون دين مردود على صاحبه. فالرسل جميعاً أدلاَّء على الحق والحق واحد.

وما أُمِرَ الناس جميعاً إلا لينتظموا في صف واحد، فيعبدوا ويطيعوا إلهاً واحداً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾

فالله سبحانه وهو الخالق العظيم العليم، هو وحده يضع الدين، وهو وحده المشرِّع للإنسان ومنه وحده التشريع، فله الحق في هداية خلقه فهو وحده خلقهم وله بيان السبيل، وله وحده الدين ذلك الدين الحق الذي يدين له ويخضع أهلُ الفضيلة والكمال.

فالإنسان إذاً مأمور أن يتلقَّى دينه عن ربه مخلصاً باتِّباعه. ثم بيَّن تعالى صفة ثانية من الصفات التي يجب أن يتحلَّى بها الناس في طاعتهم لربِّهم، تلك الصفة أن يكونوا حنفاء، **والحنفاء**: جمع حنيف، والحنيف: هو المائل لربِّه بالحب، فعلى الناس أن يعبدوه مخلصين، يقومون بأعمالهم الخالصة حنفاء مائلين إلى ربهم بالمحبة، فلهم دوماً شغف به وحنين إليه.

ولكن كيف يكون الطريق إلى هذا الحال الرفيع الذي يجب أن يتحلَّى به الإنسان؟. لقد بيَّن لنا تعالى بقوله: ﴿**وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ**﴾

فهذا الإخلاص وهذه الحنيفيَّة السامية لا يكونان إلاَّ بإقامة الصلاة، أي: بدوام الصلة بالله، وبقيام النفس عاكفةً في حضرة الله، فبهذا الإقبال تسمو النفس وتعرج إلى صاحب الرفعة والسمو والكمال، فتستمد منه الرِّفعة والسمو والكمال. ولكن كيف تستطيع النفس أن تُقبل على ربها فتصبح ولها هذه المنْزلة وهذه الصلاة بصاحب الكمال؟. لقد بيَّن تعالى ذلك بقوله: ﴿**وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ**﴾

وما الزكاة: إلا الطهارة، طهارة النفس مما فيها من شوائب ودناءة وأدران ولقد سُمِّي إنفاق المال في وجوه الخير زكاة لأن النفس بعملها هذا تصبح مطمئنة وواثقة بإحسانها، وهنالك تُقبل على ربها فتطهر

وتزكو، ويكون في عملها الصالح طهارةٌ لـها وزكاة.

وإيتاء الزكاة: يكون أيضاً بأن يقدِّم الإنسان من أعمال الخير ما تستطيع به نفسه أن تُقبل على ربها فتحصل لها الزكاة.

ولعلك تقول: كيف تحصل للنفس هذه الطهارة والزكاة؟.

فأقول: إذا كفَّ الإنسان عن المحارم، وحفظ جوارحه من العصيان، ثم أدَّى ما عليه من الحقوق نحو كلِّ ذي حق، فهنالك تصطبغ النفس بصبغةٍ من الكمال بوجهتها لربها بوجه أبيض وتستقي هذا الكمال فتزكوا، وعندها يرى المحسن رسول الله ﷺ وما انطوى في نفسه من سمو وكمال ورفعة وخُلُق ولا يعرف أهلُ الكمال إلا أهل الكمال.

وبرؤيتها لرسول الله ﷺ وكماله تُحبُّه وتشغف به، وبحبِّها له تُقبل معه على الله إقبالاً عظيماً فتشهد كمال الله تعالى وقدرته فتعبده، وبذلك تحصل لها الصلة به سبحانه. تلك الصلة التي تجلو صفحات النفس وتردّها زكية طاهرة لا شائبة فيها وذلك طريق الحق، وذلك هو التشريع والدين الذي يجب أن يعتنقه الإنسان فيصبح إنساناً حقاً، وذلك ما دعا إليه الرسل جميعاً وما سيدعو إليه سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام عندما يجيء في زمننا هذا.

قال تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾

أي: وهذا الدين الذي بيَّنته تلك الآية، إنما هو دين الشريعة الباقية، التي ستكون لها الهيمنة والسيطرة فتكون قائمة على كل مذهب.

أقول: وفي ذلك إشارة إلى أنه لا بدَّ وأن تزول كلمة الكفر والضلال من الأرض، وأنَّ هذا الدين الحق سيسمو على الديانات كلها يوم يجيء سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، قال تعالى:

﴿ ... وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1].

«**وطوبى لمولود ذلك الزمان**»[2]. أي هذا الزمان الذي نحن فيه.

ثم بيَّن تعالى حال المعرضين، وهم الذين ادَّعوا بلسانهم أنهم أتباع الرسل وهم في حقيقتهم معرضون. فقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾

ولعلك تقول: **ما هو الخلود في النار؟**.

فأقول: **الخلود**: مأخوذة من خَلَدَ، بمعنى: أَوَى ولَزِمَ، يُقال: خَلَدَ المسافر في الصحراء إلى ظلِّ شجرةٍ. وخَلَدَ العامل بعد تعبه إلى الراحة،

(1) سورة آل عمران: الآية (55).

(2) حديث شريف.

وخَلَدَ المريض إلى المستشفى لما يجده فيها من علاج لأمراضه.

فالكافر المعرض عندما تشتد عليه آلامه يوم القيامة، وترهقه أمراضه وعللُهُ لا يجد لنفسه ملجأً يلتجئُ إليه سوى النار، فتراه ينقلبُ إليها ويخلد فيها. ليخلص من نيرانه النفسية الجهنمية التي لا تطاق.

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾[1].

ولكن ما هو مصدر هذه الأمراض المعنوية، والعلل النفسية، التي ترهق هؤلاء وتضطرهم إلى النار؟

إنها أعمالهم الخبيثة وثمرات ما اكتسبوه في حياتهم الدنيوية من المعصية والأذى للخلق، وبسبب إدبارهم عن الله سبحانه. وقد بين تعالى ذلك بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾

والبرية: هم الخلق. فهؤلاء الجاحدون إنما كانوا في حياتهم شرّاً وبلاءً على الناس، فهم مصدر الشر ومبعث الأذى في المجتمع.

وبالحقيقة المعرض لا يدخل في مجتمع إلاَّ ويؤذيه، ولا يعامل أحداً إلاَّ ويؤذيه ويضرُّه، فأعماله شرٌ كلها، ولا ينال الناس منه غير الضرر والأذى.

(1) سورة الكهف: الآية (53).

أما المؤمن فتراه لا يدخل في بيئة إلاَّ ويكون مصدراً لخيرها ونفعها، ولا ينال الناس منه إلا الإحسان، فأعماله خير كلها، ولذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾

أي: إنهم مبعثُ الخير ومصدره، وقد شملت هذه الآية المؤمنين كافة من لدن آدم عليه الصلاة والسلام، فكل من آمن بربِّه وسلك طريق الخير الذي جاءت به الرسل عن الله كان امرءاً خيِّراً ومخلوقاً مُحسناً.

ثم بيَّن تعالى جزاء هؤلاء المحسنين عند ربهم فقال تعالى:

﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾

والجنات: جمع جنة، وهي النعيم النفسيُّ، **والعدن:** هو الإقامة الدائمية.

وقد جاءت كلمة (**جنات**) في صيغة الجمع، لتبيِّن أن نعيم هؤلاء، دائم مستمر لا ينقطع ولا يزول، وقد بيَّن تعالى ما يقارن ذلك النعيم النفسي من نعيم مادي أيضاً وذلك بقوله الكريم:

﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾: إذ الأنهار إنما هي الخير المستمر الدائمي الجريان. فهؤلاء إلى جانب ما هم فيه من نعيم نفسي يتمتَّعون بنعيم مادِّي.

ثم بيَّن تعالى سرورهم بما هم فيه وخلودهم دوماً إليه، وذلك بقوله الكريم: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾

وذلك مما قدَّموه من الإحسان. ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾

بما تفضَّل به عليهم من الخير والإكرام. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾

إذ الخشية تولِّد الطاعة والاستقامة، وبالطاعة ترى النفس كمال رسول الله ﷺ فتحبّه وتحصل لها الصلة به، وبهذه الصلة تزكو وتطهر فتغدو محسنةً خيِّرة، وبإحسانها هذا يرضى الله عنها وترضى عنه.

فالاستقامة إذاً أول حلقةٍ في هذه السلسلة.



التدريبات:

- احفظ سورة البينة من أستاذك جيداً، وناقش أصدقاءك وأهلك بما درسته وتعلمته من معانيها السامية.
- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[1]

ابقى دائماً على استقامة لكي تكون ممن يتأهل لزمن السيد المسيح عليه السلام فقد آن أوان ظهوره الشريف ولن ينجو من ساعة البلاء والهلاك قبل ظهوره إلا كل مؤمن أو من عنده القابلية المثلى للإيمان.

(1) سورة الحج: الآية (1).

الأسئلة :

1- ما الشيء العظيم الذي كان يتمناه رسول الله ﷺ حتى أنزل الله تعالى عليه سورة البيّنة؟.

2- كيف يُعامل المعرضُ الناسَ في الحياة الدنيا، وما هو مردود أعماله عليه يوم القيامة؟.

3- الصحف المطهرة هي التي سيتلوها سيدنا عيسى عليه السلام حين قدومه الآن، فما هي هذه الصحف، ولماذا وصفها الله تعالى بالمطهرة؟.

4- لماذا جاءت كلمة (**جنات**) بصيغة الجمع؟.

5- اشرح قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ** ﴾.

6- قال رسول الله ﷺ «**إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر عليَّ مما ألقاه وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب**» لماذا يطلب المجرمون النار يوم القيامة؟.



الدرس التاسع

قصة وعبرة...

الحب المقدَّس للسيد المسيح عليه السلام
الذهب لخدمة الحبيب عليه السلام

أعزائي الطلاب: كانت الدولة العثمانية في الماضـي ومقرُّها تركيا دولة قوية وعاصمتها حينذاك استنبول وكان يخضع لحكمها العالم الإسلامي بأثره وكانت تهابها جميع الدول والممالك في العالم، فكيف حصلت على تلك القوة ومن أين لها ذلك؟.

الحقيقة أنها كانت دولة مؤمنة بالله تعالى وكانت تطبق أحكام القرآن الكريم بالكامل.. فكل من يؤمن بالله تعالى ويطبق أوامره الخيرة، يمده تعالى بالقوة والجاه ويمكِّن له بالأرض، وهذا قانون عام ونظام ثابت لا يتبدل ولا يتغير.. قال تعالى:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ ... ﴾[1]

(1) سورة الحج: الآية (1).

وعندما تركت الدولة العثمانية السير بالقرآن الكريم وأنظمته الراقية واعتمدت على شرع الناس وطَبَّقت قوانينهم الوضعيّة التي تسبب الكرب والآلام خسرت كل البلاد الواقعة تحت حكمها ومن بين تلك البلاد سوريا.. فلقد أصاب هذه الامبراطورية العظيمة ما أصابها من بلاء وضعف وذل بسبب هجرها لكتاب الله حتى وصلت إلى حالة الإفلاس.. نعم أفلست خزينة الدولة التركية وخلت من المال، وصارت تلك الدولة إلى ما صارت إليه من الفقر والذل بعد أن كانت من قبل أغنى الدول.

وكإجراءات صارمةٍ قامت بها الدولة التركية لتتدارك كبير مصابها وتوقف عظيم انهيارها الاقتصادي المريع ذهبت تصادر الأموال من شعبها وتجارها.. وتصادر من أصحاب رؤوس الأموال ثرواتهم.. ثم أنها لم تكتفِ بذلك الظلم.. بل راحت تفرض الضرائب الباهظة، وتمنع خروج الذهب والأموال من أراضيها وخارج حدودها.. وجعلت تقرُّ أشدّ العقوبات على كل من يخالف وكل من يثبت عليه إخراج ذهبٍ أو تهريب أموالٍ من دولة تركيا.. محاولةً بذلك وقف تداعي اقتصادها المنهار ودعمه.

التجار السوريون:

لم يكن وقع أخبار هذه الإجراءات والقوانين الصارمة الشديدة على مجموعة التجار السوريين هناك (في تركيا) بالوقع السهل، لقد وصل الأمر لدرجة لا يتقبّلها الخَيَال ذاته، كيف لا وبلحظةٍ واحدة سيخسرون جنى العمر وثروة الدهر.. وما العمل ؟! فلا هم بمستطيعين إخراج الذهب ولا اصطحاب الأموال معهم عند مغادرتهم لبلادهم.. وكيف لهم أن ينقلوها لبلدهم سوريا والتفتيش الدقيق الصارم ينتظرهم والعقوبة تتأرجح أمامهم بحبل المشنقة وحكم الإعدام. وإن تركوا ماجنوه بعمرهم وركنوا للواقع فلا بد وأن كل ذلك سيصادر منهم بأقرب وقت ممكن للدولة التركية.

۞۞۞

بتلك الأثناء العصيبة كان العلَّامة الجليل محمد أمين شيخو بزيارة أخيه سليم بيك الذي كان يسكن بتركيا آنذاك.

وشاء الله تعالى أن اجتمع هؤلاء التجار الكبار من أصحاب الشركات الكبرى والمعامل الضخمة عند الجنرال المتقاعد سليم بيك بحضور أخيه **العلَّامة الجليل محمد أمين شيخو**.. وهناك عرضوا مشكلتهم عليه، وهم

يشكون حالهم ويبكون مصير ثرواتهم من ظُلم الدولة التركية التي تصادر تعنّتاً وظلماً ذهب التجار وثروات الأغنياء.

فهذه الثروات والأموال يا سليم بيك قد ذقنا الأهوال وصرفنا العمر كدًّا وجهداً حتى كسبناها، إنها كدّ يميننا وعرق جبيننا، فكيف لهم أن يغتصبوها منّا، بل وأصدروا حكم الإعدام بمن لديه ذهب ولم يعلم الدولة به!.

يا لهم من ظُلّام...ظُلّام.

كان العلَّامة الجليل محمد أمين شيخو يسمع شكواهم وقد عاين فيهم كبير المصاب.

ولذلك راح يفكّر لهم بخطة يضمن من خلالها نقل الذهب للشام. وما أن استقر على خطته العبقرية حتى قام يجرّبها.. ولما اقتنع بنتاجها ونجاحها، راح يخبرهم:

«**أنا أستطيع أن أساعدكم بإخراج الذهب من تركيا للشام بأمان وسلام**».

وافق التجار على هذا العرض بعد أن اقتنعوا تماماً بطريقة تهريب الليرات الذهبية عبر إخفائها بدعائم الصناديق الخشبية، ولثقتهم الكبيرة

بالعلَّامة الفاضل وعلمهم بعالي أمانته، ولسيرته العطرة المنتشرة بكل الأرجاء.. سارعوا مباشرةً وجلبوا كامل أموالهم من الليرات الذهبية وجعلوها بين يديه الأمينتين لينقلها إلى بلدهم سوريا، وفرضوا له ثلاثين ليرة ذهبية من كل مئة يستطيع إخراجها وإيصالها للشام وذلك لقاء خطورة هذا العمل الكبير.

قَبِلَ العلَّامة الجليل ما فرضوه له من نسبة (30٪)،وكلّ نيته من ذلك العمل وما سيجلب إليه من الذهب الوفير أن يدخره لحين اللزوم، وذلك عند ظهور سيدنا عيسى عليه السلام لتسخير ذلك المال تمهيداً لحكمه العالمي، إذ كان يتوقع ظهوره بذلك الزمن[1]..

ولهذه النية العالية ألــهمه الله فكرةً عبقريةً رهيبةً لإخفاء الذهب وإخراجه.

فعمل مباشرةً على جلب صناديق خشبية أفرغ دعائمها بأن حفرها بالمثقب على شكل دائري بحجم الليرة الذهبية وصار يضع فيها الذهب، واضعاً بين كلّ ليرة وأخرى كمية من نشارة الخشب الناعمة، ثم من بعد

(1) لطفاً انظر الكتاب العالمي «**السيد المسيح رسول السلام يلوح بالأفق**» للعلَّامة الكبير محمد أمين شيخو وبهذا الكتاب بحوث وأدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مرتبطة بالواقع المحسوس الملموس لظهور السيد المسيح عليه السلام.

ذلك يغلق القوائم الخشبية من أعلاها ويعيدها كما كانت لا تثير أدنى شك.. وهكذا فعل حتى انتهت الأموال كاملةً.. وصارت ثروة التجار والأثرياء السوريين في دعائم الصناديق الخشبية.. وهنالك استقل أول قطارٍ يتّجه من استانبول إلى دمشق ومعه مجموعةٌ من الصناديق الخشبية تحمل أمتعة له وما يماثل ذلك.

التفتيش الصارم:

وفي الطريق وفي محطة التفتيش توقف القطار وصعدت إليه مجموعةٌ من عناصر الجمارك الأتراك يرافقهم خبراء تفتيش من جنسيةٍ ألمانية، إنهم يبغون التفتيش الصارم الدقيق.. بدؤوا بتفتيش الركاب وأمتعتهم.. يفتّشون.. يبحثون عن الذهب أو الأموال المهرّبة.. وما أن وصلوا على مقربةٍ من المكان حيث يجلس العلَّامة محمد أمين.. وما أن وقع بصره عليهم حتى أحسّ بالخوف الشديد وقد اعتراه، فالمسألة جدّ خطيرة، هنالك مباشرةً وقبل أن ينتبه أحدٌ إليه سارع بالالتجاء إلى الحجرة الخاصة بالقادة أو المسؤولين، إنها حجرةٌ خاصةٌ بالمسؤولين الكبار بتلك الرحلة، كان يستقلّها أربعة من كبار المسؤولين (القادة) الألمان.

حركات لطيفة:

وما أن دخل العلَّامة محمد أمين هذه الحجرة حتى ومباشرة وبتصرفٍ ذكي منه، توجه لأحدِ أولئك القادة ثم وبخفةٍ عجيبة مدّ يده وأخذ قبعة هذا القائد ليضعها على رأسه.. ثم ناوله لفافة تبغ وما أن استقرت بفم القائد حتى أتبعها بشعلةٍ وأشعلها له!.

إنها حركاتٌ سريعةٌ خفيفةٌ مدهشةٌ غريبة!

جعلت الدهشة والغرابة ترتسم على محياهم لتغسل عنهم ما غشيهم من ملل السفر الطويل، لقد أحسوا هذه التصرفات والحركات مبعثاً للفكاهة والانتعاش.. لدرجةٍ أثارت عاصفةً من الضحك والتجدُّد المنعش في قلوبهم.. ثم ما لبث العلَّامة محمد أمين أن جلس بينهم.. فصار منهم وفيهم بشكله وطوله وهيئته الشقراء والقبعة التي أصبحت فوق رأسه.

للتوِّ كانوا أربعة قادة ألمان أما الآن فلقد أصبح عددهم خمسة بوجوده معهم!.

دقائق مضت ثم وصلت لجنة التفتيش إلى حجرة القادة الكبار. غريبٌ الأمر.. أمر أولئك القادة الألمان، لقد كانوا أربعة والآن أصبح عددهم خمسة!.

نظر أحد أفراد لجنة التفتيش (خبير ألماني) بالقادة الخمسة واستطاع أن يميّز الوجه الجديد بينهم، فسأله سؤالاً باللغة الألمانية، ذلك السؤال سبّب حرجاً وخوفاً كبيراً بقلب العلّامة الجليل.. وكردة فعلٍ وبلا شعور منه.. صاح:

(يا – يا – يا). وهو يحاول أن ينطق بكلمة (يا الله)، ولكن وبترتيب إلهي وبمشيئة الله تعالى له بالنجاة لم يستطع إكمال نطقها (يا الله) بل قالها بصوت قوي: (يا.. يا.. يا) وقد أضفى الرعب على هذا النطق جَرْساً خاصاً فبدت من لب اللغة الألمانية، فهو كلام الألمان ذاتهم، وكانت ألمانيا آنذاك الدولة العظمى.. نظر المفتّش بوجه العلّامة محمد أمين وبقوامه وبهيئته الشقراء فلم يعتره أيّ ظنٍ أو شكٍ بأنه ليس من أولئك القادة الألمان، وخاصةً لما انفجر القادة الأربعة الكبار ضحكاً على ما بدر من العلّامة محمد أمين من جواب قوي وبشكل مثيرٍ للدهشة وباعثٍ للضحك الحقيقي.

عندها ضحك جميع عناصر مجموعة التفتيش، ثم انصرفوا متوجهين لإكمال مهمتهم بتفتيش باقي أقسام القطار وركابه.

ونجا هذا السيّد الجليل.. لقد نجّاه الله تعالى لعلو نيّته وعظيم محبّته لرسول الله سيدنا عيسى عليه السلام، فلقد غادرته مجموعة المفتشين والخبراء ولم يفتّشوا أمتعته مطلقاً لظنهم بأنه من المسؤولين القادة الألمان فتركوا تفتيش أمتعته وصناديقه.

وهكذا استطاع إخراج الذهب من تركيا إلى سوريا بعد أهوال وأهوال كانت قد مرّت به طيلة هذه السفرة الطويلة.

۞۞۞

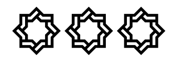
وما أن وصل هذا السيد الكبير مدينة دمشق حتى ومباشرةً اتجه إلى بيتٍ من بيوته الفارغة ولم يبعها بعدُ وكان قد ورثها عن المرحوم أبيه وهناك في البيت أخرج الذهب من الصناديق، وقام بتقسيمه إلى مئات (كل قسم يحتوي مئة ليرة ذهبية) وأخرج من كل مئة ثلاثين ليرة، وهي حقّه المشروع والمتفق عليه.

وبعد ذلك جمع كامل نصيبه بكومةٍ من الذهب وجمع ما للتجار بكومةٍ أخرى كبيرة ثم أمعن النظر بكلتا الكومتين.. فرأى كومة الذهب الخاصة به وضّاءةً منيرة وكأنّ نوراً حقيقياً ينبثق عنها ويتألّق منها، أما كومة ذهب التجار فرآها داكنةً مخيفةً وكأنّ قطعةً من الظلام تتولّد عنها.

وهكذا وبعد أن قسّم العلَّامة الجليل المال على أسماء أصحابه، حمل تلك الأموال (أموال التجار السوريين) وأوصلها لأهلهم واستلم منهم إيصالات استلام وتسليم، أما قسمته من الذهب والمال فقد بقيت محفوظةٌ ولم يستعملها أبداً، وذلك تحسّباً منه لقدوم رسول الله سيدنا عيسى عليه السلام.

وكان لا يعلم بمكان هذه القسمة من الذهب إلا صهره وهو الأستاذ عبد الهادي الباني رحمه الله تعالى، والذي لم يبح لأحدٍ به.. وهكذا حتى انتقل السيّد الجليل محمد أمين شيخو إلى جوار ربه، هنالك جمع الأستاذ عبد الهادي أولاد عمه (أبناء وبنات العلَّامة الفاضل) وأعطاهم أموال أبيهم الذهبية كاملةً حيث إنهم الورثة الشرعيون لا غيرهم.

فمنذ زمن العلَّامة الكبير كانت قد ظهرت علامات وإشارات ظهور السيد المسيح عليه السلام، هذا ولا يزال العالم ينتظر قدوم هذا الإنسان العظيم عليه السلام ليطيح بالظلم و يقيم العدل وينتصر للحق في كل مكان ليُعْلِي كلمة الله تعالى.



العبرة من القصة...

1 - الذي يستبدل قوانين الله تعالى بقوانين من عنده أو من عند الناس فإن الله تعالى يذله ويخزيه، فالمؤمن يرى نفسه قوياً بربه قوياً بتطبيق شرعه ودلالته، وأنه ضعيف وذليل بدون الله تعالى ورسوله الكريم.

2 - كل من يعمل لله تعالى في مساعدة الآخرين فإن الله تعالى مؤيده وناصره.

3 - أشراط الساعة الكبرى قد اكتملت كلها وهي ساعة هلاك الأمم الفاسدة وقيام أممٍ مكانها تسير على هدى الله تعالى ورسوله الكريم سيدنا المسيح عليه السلام، وقد دلّت سورة البيّنة على عودته عليه السلام كما أن بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية أدلة كثيرة على عودته ثانية.

4 - إن اسمه (عليه السلام) لهو من أكبر الأدلة على عودته، وذلك لأن لكل مسمى من اسمه نصيب، أما الأنبياء الكرام، فلهم النصيب الكامل من أسمائهم التي سماهم الله تعالى بها.

فمثلاً سمّى الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم الكريم بما حوى من الكمالات جميعها، وبما انطوت عليه هذه النفس الكريمة العالية من المحامد

كلها، فكان اسمه (**محمداً**) وكذلك سماه أحمد أي أنّه ﷺ حمد الله تعالى أكثر من كل الخلق وبذا سبق جميع الأنبياء والمرسلين فكان إمامهم جميعاً.

أما السيد المسيح عليه السلام، فقد أطلق الله تعالى عليه اسمين كريمين (المسيح ـ عيسى) وكلمة المسيح: من المسح، ومسحَ الشيء أي: أزاله، وبما أن وظيفة كل رسول هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وبالتالي إزالة ومسح حب الدنيا من قلوبهم، وربطها بالله تعالى بمعيته «بواسطته».

وبما أنه بمجيئه أول مرة، لم يمسح الكفر من الأرض، فإنه ببعثته الثانية حتماً سيمسح الكفر من الكون، وكلمة عيسى مشتقة من (عسى) وكلمة عسى تعني احتمال حصول الشيء أو عدم حصوله مثال: عسى أن يأتي زيد، فاحتمال أن يأتي، أو لا يأتي، أما كلمة (عيسى) فمعناها حتماً سيأتي، وليس هناك احتمال، إذاً يكون معنى اسمه الشريف بالتّمام (عيسى المسيح) أي حتماً سيأتي ويمسح الكفر من الكون، وتكون له الوجاهة في الدنيا، بإيمان أهل الأرض به وهؤلاء المؤمنون التابعون له، سيكونون فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، كما في الآية الكريمة:

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1]

❁ ❁ ❁

الأسئلة والتدريبات:

1- لماذا أصبحت الدولة العثمانية بهذه الحالة التعيسة من الفقر بعد أن كانت أغنى دول العالم قاطبة؟.

2- كيف كان حال التجار السوريين في تركيا عندما علموا بقرار الدولة التركية بالتبليغ عن أموالهم؟.

3- لأجل أي هدف كان يريد العلَّامة أن يأخذ حصته من الذهب الذي يمرره لسوريا؟.

4- لماذا لم تفتش أمتعته وصناديقه الخشبية من قبل المفتشين الألمان؟.

5- ما هو معنى اسم سيدنا {عيسى المسيح} عليه السلام ؟.



(1) سورة آل عمران الآية: 55

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾

صدق الله العظيم

الدرس العاشر

تأويل سـورة القدر

هل ترغب أيها الطالب أن تصل للعلم بالله والمعرفة التّامة؟.

هل تريد أن تحقّق الغاية العظيمة التي خلقك الله من أجلها فتنال الفوز والنجاح؟. أتحب أن يكون لك في هذه الحياة نورٌ تميّز به الخير من الشر وتعرف به الحق من الباطل؟.

أتريد أن تعلم أيها الطالب كيف نال رسول الله ﷺ القرآن الكريم من ربه حتّى تقتفي أثره وتتّبعه.. فتكون مؤمناً جليلاً؟.

لقد بين تعالى ذلك بقوله الكريم: ﴿**إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ**﴾

فما هو معنى كلمة ﴿**ٱلۡقَدۡرِ**﴾؟.

القدر: هو مبْلغ الشيء، و**القدر**: هو الحال والشأن.

ولتفصيل ذلك:

يُقال: **قدَّر** فلانٌ هذا الأمر، أي: عرف حاله وشأنه. **وقدَّر** الإنسان خالقه: أي: عرف عالي شأنه وعظيم جلاله وكماله. ولكن كيف تكون معرفة الله ورؤية عظمته وجلاله؟.

كيف يقدِّر المخلوق خالقه حقَّ قدره؟.

أقول: لا يصل الإنسان لهذه الحالة الرفيعة إلا بعد شهوده عظمة الله ورؤية كماله، فأنا لا أعرف قدرك إلاَّ إذا رأيتك، أو إذا رأيتك على رأس عملك، أو في حال ممارستك لشؤونك، أو إذا رأيت صفاتك التي تشهد لي بعلوِّ قدرك وتنطق بسموِّ مكانتك وعظيم شأنك. وكذلك النفس لا تُوقن بعظمة خالقها إلاَّ إذا شهدت عظمة ذلك المالك العظيم في ملكوته، قائماً بالتربية والإمداد على خلْقه، مُفيضاً برَّه وإحسانه على سائر مخلوقاته، غامراً الكون برأفته وواسع رحمته.

فالإنسان بعد أن آمن بربِّه إيماناً غيبياً، وبعد أن أقرَّ بعظمة الخالق ورحمته إقراراً فكرياً، إذا هو استقام على أمر ربِّه، ومَرِنَ على طاعة الله، فلم يخالفه، ولم يعصه في أمرٍ من أوامره، فلا بدَّ له إذا هو استمر على هذا الحال من الاستقامة والطاعة وثابر على التقرُّب إلى الخالق بالإحسان إلى المخلوقات كافة، من ساعة يشهد فيها كمال الله سبحانه شهوداً نفسياً، ولا بدّ له من حالة تنغمر فيها نفسه بذلك النور الإلهي، فترى عظمة خالقها وموجدها وتعاين حنانه تعالى عليها وواسع عطفه ورحمته بها وبالمخلوقات جميعها، وهنالك تعرف قدر ربِّها وتوقن برحمته وعطفه عليها.

وتلك الليلة العظيمة التي يشهد فيها الإنسان هذه المشاهدة النفسيّة،

ويرى هذه الرؤية الذوقية، وتحصل له بها تلك المعرفة الشهوديّة، تلك الليلة هي **ليلة القدر**، أي: ليلة رؤية الإنسان عظمة الخالق وتقديره كمال الله تبارك وتعالى.

أقول: وفي تلك الليلة، وإن شئتَ فقل في تلك اللحظة التي تحصل فيها هذه المشاهدة النفسيّة، ينطبع في قلب هذا المؤمن الحق، فتتنزَّل في قلبه حقائق الإيمان والقرآن كلها، فيغدو عارفاً بالمراد من الآيات وحكمتها، ولذلك قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ**﴾ أي: إنَّ تنزيل ما انطوى عليه القرآن الكريم من الحقائق على قلبك إنما كان في ليلة القدر، أي ليلة مشاهدتك لعظمة ربك وتقديرك لخالقك.

والله تعالى لم يخاطب رسوله بهذا الخطاب إلاّ ليبيِّن لنا أنه لا يحصل للإنسان العلم بحقائق القرآن ولا تكون المعرفة الصحيحة بما فيه من الآيات التي ملؤها السعادة والخير وقوامها الحق والإحسان إلاَّ في ليلة القدر.

فهذه الآية الكريمة تبيِّن لنا أن العلم الصحيح لا يكون إلا عن الله، ولا يُكتسب إلاَّ من الله تعالى.

فهذا الهدى والبيان الذي جاء به رسول الله ﷺ، وهذه الدلالة والعلم الذي بيَّنه للناس، والذي لا يستطيع البشر قاطبةً أفراداً وأمماً، قروناً

وأجيالاً أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً كيف تسنَّى للرسول الكريم ﷺ وهو الذي لم يدرس من قبلُ في كتاب، ولم يتلقَّ العلم عن أحدٍ من الناس كيف تسنَّى له وحده أن يأتي بما جاء به من الهدى متحدِّياً العصور والأجيال مُبيِّناً عجزهم عن الإتيان بمثله؟!.

إن هذه الآية لتدحض ما زعمته قريش، وما يزعمه أولو العقول القاصرة أن القرآن الكريم إنما هو من وضع رسول الله ﷺ، فهي تبيِّن لنا ذلك المصدر السامي الذي تلقَّى منه الرسول ﷺ هذا الهدى، وهذه الدلالة إلى طريق الحق طريق الإنسانية والسعادة الكاملة معلنة أن ذلك الهدى والكمال الذي جاء به رسول الله ﷺ إنما هو تنزيلٌ من الله، أنزله على قلب رسوله الكريم في ليلة القدر، ليلة تقديره لكمال ربِّه وتعظيمه لخالقه، كما أنَّ هذه الآية الكريمة تنفي ما تقوَّله بعضهم من أن فهم القرآن يحتاج إلى ستة عشر علماً من العلوم المختلفة والانكباب على دراسة تلك الكتب المطوَّلة.

فما الدراسات المفصَّلة بمجدية عن معرفة الحقيقة شيئاً، ولا تحصل للإنسان المعرفة الصحيحة إلا إذا تعرَّض لنفحات الله سبحانه، وفاز بتلك الليلة المباركة.

ولكن هل هذه الرؤية ميسورة لكل شخص؟. ومتى هي ليلة القدر؟.

أقول: إن العدالة الإلّهية تقضي بأن لا يكون العطاء الإلّهي قاصراً على شخص دون شخص، فكلّ من أعدَّ نفسه الإعداد المطلوب لهذه المشاهدة، وإن شئت فقل أيُّما امرئ أطاعَ ربَّه حق الإطاعة فلم يتهاون في أمرٍ من أوامر الله سبحانه وتعالى، ولم يتلبَّس بثوبٍ من أثواب المعصية، فلا بد له من الإكرام بهذه المشاهدة والفوز بتلك الليلة: فالنفس العاصية المسيئة تُحجبُ عنها، إذ إنها تقف في صلاتها خجلى من ربها، مُعرضة عنه بوجهها، وهي والحالة هذه لا تستطيع أن تُقبل على الله تعالى، وهي إن وقفت في صلاتها فوقوفها صورة لا حقيقة، وسيئاتها حجاب وستر بينها وبين الله تعالى، أما النفس المطيعة فمن لوازمها أنها إذا وقفت بين يدي ربِّها فإنها تقف متجهة مقبلة، ذلك لأن إحسانها الذي تحمله بين يديها يجعلها فخورة بعملها واثقة مطمئنة من رضاء الله تعالى عنها. فالاستقامة على أمر الله، والتقرُّب بالعمل الصالح إلى الله، ذانك هما الشرطان الأساسيان، وإن شئت فقل: هما الجناحان اللذان يجعلان النفس تطير إلى تلك الآفاق العالية، وعندها تشهد ما تشهد من كمال الله سبحانه، وتتحلَّى بالفضيلة والمعرفة.

العشر الأواخر :

أما الموسم المناسب الذي تتهيأ فيه النفس لتلك الحال من الرؤية والفوز بتلك الليلة المباركة، فإنما هو شهر رمضان وفي العشر الأواخر منه تُلتمسُ كما أخبر الصادق المصدَّق عليه أفضل الصلاة والسلام، ذلك لأنه يتوفَّر للصائم حينئذٍ ذلك الشرطان الأساسيان، فالجوع والعطش في رمضان عون على القطيعة بين الإنسان والشيطان، والإنسان قد مَرِنتْ نفسه طوال نهارها على هذه القطيعة الميمونة، تجده غير خجلٍ من ربّه البتَّة.

كما أن له من طاعته لله بصيامه سبباً عظيماً، وحافزاً قوياً يحفزه على الإقبال على ربِّه، فإذا وقف عشاءً للصلاة بعد أن تناول يسيراً من الطعام والشراب وقف وكلّه توجُّه وإقبال، وطارت نفسه تحلِّق في ذلك الأفق العالي لا يعوقها عائق، ولا يقف بينها وبين خالقها حجاب.

وإنك لتجد الصائم بمجرَّد دخوله في الصلاة لا يلبث أن يرى نفسه مغمورةً بفيضٍ من نور الله، شاخصاً ببصيرته إلى الله، يعبده حق العبادة لأنه يراه، ولا يزال يعيد الكرَّة يوماً فيوماً، وليلةً بعد ليلة، حتى إذا أقبل العشر الأواخر من هذا الشهر وقد صلب عود النفس وأصبحت لذلك النور أكثر تحمُّلاً ولمشاهدة ذلك الكمال الإلَهي أهلاً، هنالك ينكشف لها

عن كمال صاحب الجلال والجمال طرف من الستر، فتشهد ما يتناسب مع حالها من جماله وجلاله وعالي بهائه، وترى الكون كلّه قائماً بإمداده وتسييره، سابحاً بفضله وإحسانه، مغموراً برحمته وحنانه.

وبشهود الإنسان ذلك الجلال الإلّهي والجمال، وبرؤيته كمال ربّه المتعال وبتطلُّعه إلى الرحمة الشاملة ولذلك العطف والحنان يمتلئ حبّاً بذي الجلال والإكرام والعطف والإحسان.

والنفس بفطرتها مجبولة على حبّ الجمال والكمال، مشغوفة بتقدير صاحب الإحسان، وبهذا الحبّ السامي لصاحب الكمال سبحانه تصطبغ النفس بصبغة الكمال، وهذا النوع من الحبِّ هو وحده المهذِّب لأخلاق الإنسان والمحوِّل النفس من حالٍ إلى حال.

فإذا قضيت الصلاة وعاد المصلِّي من ذلك السَّفر الميمون، عاد بخير زاد، عاد والفضيلة إلفه وأليفه، والكمال رفيقه وحليفه، والتقوى زاده، والإحسان إلى الخلق كافّةً همّه ومراده.

تلك هي ليلة القدر التي يشهد فيها العبد عظمة ربّه، وسامي علاه، ويتنزَّل فيها القرآن على قلبه، تلك هي ليلة القدر التي زيَّن الله بها شهر رمضان، تلك هي الليلة التي يجب أن يفوز بها كل إنسان ليخرج من

صنف الحيوان وينتظم في سلك بني الإنسان المتصف بالرحمة والإحسان والحنان، ومن ماتَ ولم يشهد ليلة القدر فقد أضاع حياته وخسر هذا العمر. قال تعالى:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1].



التدريبات:

- بماذا ترد على من يدعي أن فهم القرآن يحتاج إلى ستة عشر علماً من العلوم المختلفة والانكباب على دراسة تلك الكتب المطوَّلة؟.
- لماذا جعل الله تعالى النفس الإنسانية مفطورة على حب الجمال والكمال؟.
- ما الأسباب التي تجعل أشخاصاً يملكون العلم والمعرفة والحكمة والرحمة في حين يفتقد هذه العلوم غيرهم؟. وهل عطاء الله تعالى لهؤلاء وحرمانه لغيرهم يكون بالحق والعدل؟. وضح هذه الناحية الهامة من خلال ما تعلمته من الدرس.

(1) سورة العنكبوت: الآية (64).

الدرس الحادي عشر

تتمة تأويل سورة القدر

طلابنا الأعزاء:

علمنا بالدرس السابق أن ليلة القدر هي الليلة التي يشهد فيها الإنسان المستقيم عظمة ربّه، ويقدره حق قدره العظيم، وتتنزَّل فيها معاني القرآن على قلبه، تلك هي ليلة القدر التي فرض الله شهر رمضان من أجل نوالها، تلك هي الليلة التي يجب أن يفوز بها كل إنسان ليخرج من صنف الحيوان، وينتظم في سلك بني الإنسان المتصف بالرحمة والإحسان والحنان، ومن ماتَ ولم يشهد ليلة القدر فقد أضاع حياته وخسر هذا العمر، وقد أراد تعالى أن يبيِّن لنا عظيم شأن هذه الليلة فقال تعالى:

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾

أي: وما أعظم هذه الليلة، وما أكثر الخير الذي يناله الإنسان في ليلة القدر وإنك أيها الإنسان لعاجزٌ عن الإحاطة بها في ليلة القدر، وذلك الفضل والخير الذي يناله المؤمن في ليلة القدر. ثم فصَّل تعالى ذلك بقوله: **﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾**

والألف شهر: هي أربع وثمانون سنة تقريباً، فإذا أضفنا عليها سِنَّي

الطفولة والصِّبا كانت حصيلة ذلك مائة عام على التقريب. فليلة القدر، أي: أنَّ العلم والمعرفة والفضيلة والكمال الذي ينطبع في نفس المؤمن في تلك الليلة، وإن شئت فقل في تلك اللحظة خيرٌ مما يحصل عليه امرؤ عاش مائة عام قضى منها الألف شهر في الصيام والدراسة الجادَّة لاكتساب المعرفة.

فالغافل المُعرض عن ذكر الله مهما امتدَّ به العمر وطال حتى ولو أنه عاش مائة عام، فليس يجني من عمره إلاَّ الشقاء والخسارة، ولا يعود على النّاس من عمله إلاَّ الإيذاء والإضرار.

أما المؤمن المقبل فعمره كلّه خير، وحياته كلّها إنسانية وإحسان، وما ليلة القدر التي يفوز بها إلاَّ مدرسةً يتعلّم فيها الفضيلة والإنسانيّة والرحمة والإحسان، وشتَّان بين غافلٍ مُعرض حياته كلّها شرّ وإيذاء، وبين مؤمنٍ مُقبل ليس قصده من أعماله إلاَّ خدمة الخلق كلِّهم والفوز برضاء الرحمن.

وليلة القدر: والحالة هذه تلك الليلة التي يفوز بها المؤمن والتي هي خيرٌ من ألف شهر، أي: خير من عمر الكافر كلّه، ومن حياته التي ليس فيها خير ولا ينتج عنها إلا الإساءة والخسران، وإذا كانت ليلة من ليالي

القدر التي يُكْرَم بها المقبل خيراً من حياة طولها مائة عام من العمر، فأيّ نسبة بين حياة المؤمن وحياة المعرض؟. أي نسبة بين علم الأول... وعلم الثاني؟. وفي أي منزلة يكون ذلك المعرض بالنسبة لذلك المؤمن المقبل الذي عمره كلّه خير، وحياته كلّها إنسانيّة، والذي تتوالى عليه ليالي القدر فمن ليلةٍ إلى ليلةٍ أعلى وأرفع ومن معرفةٍ إلى معرفةٍ أرقى وأوسع، ومن منزلةٍ إلى منزلةٍ أسمى وأبدع. إنّه ليس من نسبةٍ بين مقبلٍ وبين غافلٍ معرض. فمهما جدَّ الغافل وكدَّ فلا يبلغ ذرَّةً مما هو عليه المؤمن من علم ومعرفة وكمال وفضيلة، وما بين الأول والثاني كما بين السماء والأرض، وهذا مثال نُقرِّب به الحقيقة.

قال تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ**﴾[1].

صاحب الخلق العظيم ﷺ:

أقول: وإذا كانت كلّ ليلةٍ من ليالي المؤمن، لا بل كلّ لحظةٍ خيراً من حياة المعرض كلّها، فماذا نقول إذا كانت كل لحظةٍ من لحظات رسول الله ﷺ

(1) سورة فاطر: الآية (19-22).

ليلة من ليالي القدر، وماذا نقول وكيف نستطيع أن نتصوَّر ذلك الكمال وذلك العلم وتلك الأخلاق النبويّة، والتي تحلَّى بها قلب رسول الله، وأين نحن من رسول الله ﷺ، وأين البشر كلّهم أجمعون منه ﷺ، ذلك البحر الواسع والبدر اللامع، والسراج المنير الساطع، ولكن لا يعرف قدر رسول الله ﷺ إلا من عرف الله وفاز بليلة القدر، ولا يعرف الفضل إلا ذووه والله ذو الفضل العظيم.

ثم إن الله تعالى أراد أن يبيّن لنا حال ذلك المؤمن بعد اصطباغه بتلك الصبغة من الكمال والفضيلة، وانطباع الحقِّ على صفحات نفسه الطيّبة الطاهرة فقال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾

فالرسل والأنبياء جميعاً بإقبالهم العالي على ربِّهم وصلوا إلى درجة من الطهارة النفسيّة والمعرفة الشهوديّة التي لا يمكن معها أن تميل نفوسهم إلى شيءٍ من الأشياء المنهيّة، أو أن تنشأ في نفوسهم شهوة من الشهوات المحرَّمة ذلك لأن النور الإلّهي ساطع دوماً في نفوسهم، والحقائق بادية ظاهرة بصورةٍ مستمرةٍ أمام أعينهم، والملائكة دائبة تتنزَّل بالروح عليهم بإذن ربّهم، فهم في رؤيةٍ مستمرةٍ متواصلة، وتلك هي العصمة.. وفي الحديث الشريف:

«نحنُ معاشر الأنبياء تنامُ أعيننا ولا تنامُ قلوبُنا »[1].

أما المؤمنون، وهم الذين لم يبلغوا ولا يمكن أن يبلغوا منازل الرسل والأنبياء، فهؤلاء قد تعرض لهم شهوة من الشهوات، وقد تُحدِّثهم نفسهم بميلٍ إلى بعض الأمور المنهيّة، غير أن قلوبهم التي سطع فيها نور الحقِّ من قبل، تلك القلوب التي رأت الكمال فأحبَّته واصطبغت به في ليلة القدر تعوذ بربِّها مما نشأ فيها، وتلتجئ إليه طالبةً الخلاص مما ألمَّ بها، وبعياذها بالله والتجائها إلى الله يسطع نور الله فيها، فيتبدَّى لها الحقّ ويظهر، وتشهد بذلك النور الإلهي، وهو ما سمَّاه الله تعالى «**بالروح**»، ما تشتمل عليه تلك الشهوة وذلك الميل من الأذى والشرّ، قال تعالى:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[2].

وهذا ما بيَّنته لنا هذه الآية الكريمة من سورة القدر، فالروح كما رأينا هي ذلك النور الإلهي الذي يتجلَّى به الله على قلب عبده العائذ به الملتجئ إليه.

﴿ ...بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾

(1) في الصحيح.

(2) سورة الأعراف: الآية (200-201).

أي: تظهر بها حقيقة كلّ شهوة، وينكشف بواسطتها ما ينطوي عليه كلّ أمرٍ من خيرٍ أو شرّ، وإنما تتنزَّل الملائكة بها، ذلك لأنهم وسطاء يسري بهم النور الإلَهي على مثل ما تسري القوّة الكهربائيّة في الأسلاك، ويشعّ نور الله على تلك النفوس المقبلة، فيكشف لها حقائق الأمور، ولا يكون هذا إلا بإذن ربِّهم، فلا تحصل هذه المشاهدة والرؤية إلا لمن أذن الله له بذلك، فكان ممَّن أقبل على ربّه وتحلَّت نفسه بالكمال من الله، وقدَّر خالقه تقديراً يتناسب مع وجهته وإقباله.

ونجمل القول فنقول:

قد تنازع المؤمن نفسه في شهوةٍ من الشهوات، غير أن الصّبغة صبغة الكمال التي اصطبغت بها نفسه من قبل في ليلة القدر تجعله يرجع إلى ربِّه عائذاً طالباً منه أن يكشف له حقيقة تلك الشهوة وما فيها من الشرّ، وهنالك يتنزَّل الروح على قلبه، وتأتيه الملائكة بذلك النور الإلَهي من ربه، فتنكشف له الحقيقة التي يطلبها، ثم يرجع إلى القرآن فيجد الآية مصدِّقة لما شهد ورأى وهنالك يطمئن قلبه، وتهوي نفسه إلى الحق، وفي الحديث الشريف:

«لا يؤمنُ أحدكُم حتى يكون هواهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِه »[1].

(1) في الصحيح.

ومن كان كلام الله دليله في كلِّ أمرٍ من أموره، فسيره كلّه في أمان واطمئنان ومن كان نور خالقه سراجه وضياؤه فحياته كلها سعادة وسلام.

وقد بيَّن تعالى ذلك بقوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾

وقد عبَّر تعالى عن الموت بمطلع الفجر، ذلك لأن الموت ينكشف به الغطاء عن النفوس، فلا يحول بينها وبين رؤية الحق سترٌ ولا حجاب، فيرى الناس جميعاً الحقائق ظاهرةً جليّة بادية للعيان، ويشهد الناس جميعاً الحقّ الذي جاءت به رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين، فهذا المؤمن الذي تدارك أمره من قبل أن يأتيه الموت، وفاز بليلة القدر أشبه برجل يسير في المغاور والقفار وبيده سراج ساطع منير، فهو أبداً على بصيرةٍ وهدىً يسير في النور، والنور يكشف له كلَّ شيء، وبيده الثانية كتاب دليل يهديه «خارطة الطريق» كيلا يضلَّ طريق الحقّ، فهو يسير في طمأنينة وسلام مدى العمر وطوال الحياة، ينقلب دوماً في الخير، ولا يعمل إلاّ الخير، فإذا انتهت به مرحلة الحياة وطلع الفجر، جاءه الموت وهو بخير حال. وهنالك البشرى والفرح والغبطة بما قدَّم من أعمال.

فإن شئت أيها الطالب العلم والمعرفة، وإذا كنت ممن يطلب الكمال والفضيلة وإذا أردت أن ينطبع الحقُّ في قلبك، وتصطبغ نفسك بصبغةٍ من الله ومن

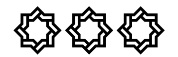
أحسن من الله صبغة، وإن أحببت أن يتحلَّى قلبك بنور تمشي به في الظلمات يكون لك به من الله برهان وفرقان، فما عليك إلاّ أن تسعى لتفوز بليلة القدر، وهنالك تكسب حياتك الثمينة الغالية، وتكسب هذا العمر. قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1]

النشاط الذاتي:

1- احفظ سورة القدر من أستاذك جيداً .

2- عليّ أن أستعد لنوال ليلة القدر في شهر رمضان القادم، وعلي أن أستقيم على أوامره تعالى وأواظب على طاعته وعبادته، والإحسان لمخلوقاته حتى يقبل رمضان وأنا بخير حالٍ من طاعة لله تعالى. ومتى بدأ شهر الصيام عليَّ أن أحافظ على استقامتي الكاملة، وأحافظ على صلاة التراويح كلَّ يومٍ ولا أقطعها مهما كانت الأسباب، فهي السبب والحافز العظيم لنوال ليلة القدر.



(1) سورة العنكبوت: الآية (69).

الأسئلة:

1- أنزل الله تعالى القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ في ليلة القدر فما هي ليلة القدر؟.

2- لماذا جعل الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان، وما الحكمة في أن تكون تلك الليلة المباركة في العشر الأواخر من شهر الصيام؟.

3- قال تعالى أن ﴿**لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ لماذا ليلة واحدة، وهي ليلة القدر تكون خيراً من ألف شهر، وما المقصود بالألف شهر؟.

4- ما التأثير الذي يحقّقه الجوع والعطش في شهر رمضان بنفس الصائم؟.

5- هل من الممكن أن يفوز الإنسان بليلة القدر وهو متلبّس بأيّة معصية؟. اكتب موضوعاً حول هذا البحث، وبين أثر الاستقامة في سمو نفس الإنسان وتأهّله ليفوز بليلة القدر المباركة.



الدرس الثاني عشر

قصة وعبرة... الفتى محمد أمين وليلة القدر

أعزائي الطلاب:

هذه القصة الحقيقية ستصور لنا جانباً مضيئاً عظيماً من حياة السيد الجليل محمد أمين شيخو.. وستبين هذه القصة عظمة ما وهبه الله تعالى للإنسان من ملكات وطاقات فكرية.. فلقد وهب الله تعالى الإنسان الفكر (الجهاز العظيم) ليسمو ويعلو فوق جميع الكائنات.

كان السيد محمد أمين شيخو بسنِّ السادسة عشرة من عمره حين خاض غمار التجربة العملية وتصدى لقضية كبيرة وهامة.. قضية منتشرة في كل بلاد الشام لا.. بل بكافة البلاد الإسلامية.. إنه حقاً فتىً يتألَّق ذكاءً وإدراكاً.. فتوةً وشباباً متفوِّقاً على كافة أقرانه.. لا يسير كما تسير أكثريّة الناس بالتقليد الأعمى، بل يريد أن يتمتَّع بما وهبه الله من ملكات ويكتشف بذاته ويتأكَّد من صحة كل ما يسمعه ويمسّ حياته ليتيقَّن من صحته قبل أن يتبنَّاه ويتكلَّم فيه.

قصتنا الرائعة هذه حدثت بأحد شهور رمضان المبارك حيث يصوم الناس سعداء مسرورين..ولقد شاع بينهم وسرى وصف لليلة القدر.. وصف غريب وعجيب.. لقد غالوا به كثيراً..

يظنُّون الظُّنون ويتخيّلون التخيُّلات فتصوَّروا بأن الله تعالى ينزل في هذه الليلة عن عرشه من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وبلحظة هبوطه جلَّ جلاله واستقراره في السماء الدنيا ولشدة نوره تعالى تضيء السماء كاملة على الأرض وتشعُّ نوراً كنور القمر وهو بدر.. وبهذه اللحظة العظيمة تستطيع أن تطلب أيها الإنسان وتتمنَّى ما تشاء فأنت تطلب من قريب مجيب (جلَّ جلاله)، إذ صار بالسماء الدنيا يسمع نداءك وطلبك وأنت ما عليك إلاَّ الطلب، فطلبك مستجاب.

وزعموا قائلين مدعِّمين ظنونهم هذه برواية أن جدَّ «بيت العظم» (العائلة المشهورة بالغنى في دمشق) رأى هذه الليلة **(ليلة القدر)** فدعا الله طالباً منه مالاً وبنين وعزّاً لا يميل، وقد تحقَّق له ذلك وها هي عائلة بيت العظم ما تزال غنيّة لِمَا ترك لهم جدُّهم من ثروةٍ طائلة كان قد رُزقها بعد دعائه إثر مشاهدته لليلة القدر..

وهكذا فقد ذهب كلّ واحدٍ منهم يتكلَّم ويذكر ما يعرفه أو ما سمعه أو ما يعتقد أنه حصل معه أو مع فلان من الناس في هذه الليلة **(ليلة القدر)** حتى أصبح الكلام عنها كثيراً جدّاً يبلغ الخيال واللامعقول.

أمَّا الفتى الحرّ السيد محمد أمين فقد سمع هذا الحديث قبل شهر رمضان وسُرَّ كثيراً بذلك وراح يحدِّث نفسه ويرسم أحلامه العذبة وأمانيه العظيمة في سماء ليلة القدر هذه قائلاً:

يا لكبير سعادتي، يا لعظيم روائع ما سيتحقَّق لي ولبني الإنسان أجمع، حقّاً سأكون سعيداً جداً إن تحقَّق أملي وطموحي في هذه الحياة بالذي سأطلبه من ربِّي في ليلة القدر.

وما هي إلاَّ أيام معدودة ويحلُّ رمضان يحملُ معه ليلة القدر فأدعو ربِّي ليحقِّق لي هدفي ومبتغاي في حياتي.

وهكذا قرَّر السيد محمد أمين أن يُراقب الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان بهمَّةٍ عالية وصدقٍ عظيم دون أدنى كسل أو ملل حتى يشهد ما وصفوا له من ليلة القدر ويدعو ربَّه فيحقِّق مبتغاه.. فهو أول من صدر للتحقيق العلمي العصري الحديث والتجربة العملية الواقعية الرائدة، بهذه القضيّة المهمّة.

ولكن أيُّ مبتغىً هذا المبتغى!. وأي هدفٍ وطموحٍ هذا الطموح!.

إنه ليس للمال ولا للجاه، لا المنصب ولا البنين، ليس ممّا في الدنيا من نعيمٍ وزينة، إنَّما هو طلبٌ إنسانيٌّ عظيم بما يفيض به الحب السامي ويصدر من ثنايا قلبه فينتشر خيراً على بني الإنسان..

۞۞۞

ذهب السيد محمد أمين إلى صاحبه وبلهفةٍ واهتمام بالغ قال:

صديقي أما سمعت عما سمعته أنا؟.

قال صديقه: خيراً يا سيد أمين.. ماذا سمعت، أخبرني؟.

بدأ السيد محمد أمين يشرح له بشوقٍ وتأثُّرٍ عظيم ما كان قد سمعه عن ليلة القدر وما يزعمه الناس فيها، وكيف يتحقَّق للإنسان فيها أمنياته الثلاث بدعائه إلى الله حينما يهبط من السماء السابعة إلى السماء الدنيا فتتنوَّر وتُضيء بحلوله جلَّ جلاله فيها.

ردَّ الصديق: أحقّاً ما تقول يا أمين؟.

قال السيد محمد أمين: هذا ما سمعته بأذنيَّ من الناس، ومتى حضر موعد الليالي العشر الأخيرة من رمضان سأراقب هذه الليلة وأطلب أمنيتي من الله تبارك وتعالى، إن كان ما سمعته صحيحاً.

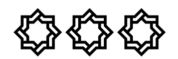
قال الصديق: وما هي أمنيتك يا صديقي؟.

قال الفتى أمين: أمنيتي.. أمنيتي أن أرى ليلة القدر وأطلب من الله أن يجمع لي ملوك الأرض لأعرض عليهم دين الإسلام، فإن أسلموا سينتشر دين الحقّ في بقاع الأرض كاملةً فيسود الحبّ والأمان، فكل بني الإنسان أخوة أحباب، سعادة وسلام لا شقاء بعدها ولا دمار، لا قتل ولا سلب ولا نهب أما إن لم يُسلموا فسأقطع رقابهم جميعاً.. ومن بعدها سأبحث عن طريقة ثانية لنشر الإسلام والسلام بين الناس جميعاً.

ردَّ الصديق قائلاً: مثلك سأنتظر ليلة القدر هذه لعلَّه يتحقَّق أملي وطلبي أيضاً.

قال السيد محمد أمين: وما هو طلبك أنت يا صديقي؟.

ردَّ الصديق؛ وبدا كأنه يحلم بطلبه قد تحقَّق، إذ قال بصوت هادئ ممدود: سأطلب مالاً.. سأطلب بنين وأطلب عزّاً لا يميل، سأصبح ذا مالٍ كثير وجاهٍ واسع.. سأملُك ملكاً كبيراً كما ملك الأغنياء الأثرياء وهذه فرصتي ولن أفوِّتها.



لقد كان الفرق شاسعاً بين طلبيهما، فأين الثرى من الثريا، طلبُ السيد محمد أمين طلبٌ إنسانيٌ عظيم يُخلِّد طالبه بجنان الخلد الأبديّة ويعيش حياة السعادة دنيا وآخرة، أما طلب صديقه فأناني دنيويّ منقضٍ زائل.. مهما امتدَّ لا يمتدُّ معه أكثر من بضع سنين ثم ينتهي بالموت والرحيل عن هذه الدنيا الفانية.

وهكذا.. فقد اتفق الفتيان على مراقبة هذه الليلة وترصُّدها ليطلب كلٌّ منهما مطلبه واتفقا أن تكون مراقبتهما مشتركة حتى إذا غفل أحدهما أو أخذته غفوة من النوم فيوقظه الثاني لكي لا تفوتهما هذه الليلة فيخسرا هذه الفرصة الثمينة.

بدأ شهر رمضان وتوالت الأيام والليالي والسيد محمد أمين وصديقه يعدانها بفارغ الصبر وبدقَّة حتى انقضت الليالي العشرون الأولى.

ولـمَّا بدأت الليالي العشر الأخيرة وبحلول الليلة الواحدة والعشرين من رمضان وقبل الإفطار أسرع الفتى أمين وهو بغاية الحيويّة والنشاط، يزداد شوقه لهذه الليالي.. ويعظم، فلقد آن الأوان لينال عظيم طموحه ومناه.

أسرع لصديقه يذكِّره قائلاً: اليوم.. اليوم ومن بعد الإفطار مباشرةً نصعد معاً إلى سطح دارنا ونبدأ مراقبتنا بدءاً من هذه الليلة.

ولقد سمعت أن موعد حدوثها من بعد أذان العشاء حتى أذان الفجر ولكن وللحيطة سنراقبها من بعد الإفطار حتى شروق ضوء الصباح.

ولـمَّا حان موعد الإفطار وأذَّن المؤذن لصلاة المغرب أفطرا سوياً ثم صعدا مع ظهور أول نجمة في السماء، لسطح البيت.

كان الجو لطيفاً والسماء صافية والسكون مخيِّماً على الأرجاء..

يحُلُّ الليل رويداً رويداً فيمتزج سواده بلون الشفق البديع في جهة الغروب فيبدي للعيان لوناً جذَّاباً..

هناك وعلى سطح البيت استلقى كلّ واحدٍ منهما على ظهره ووجهه للسماء بجوار بعضهما حتى يشعر أحدهما بالآخر إذا نام فيوقظه.. ومضيا يراقبان السماء بدون أيّ كلام.. صمتٌ وسكون تامان.. عيونٌ مفتوحة على أشدها تحدِّق إلى السماء الصافية حيث الليل يحُلُّ شيئاً فشيئاً والنور يغادر رويداً رويداً والسيد محمد أمين يراقب اللحظة التي يحُلُّ بها الله في السماء الدنيا وهو يحلم بانتشار الإسلام وقد حلَّ بكل بقاع الأرض، أما صديقه فكان يحلم بالمال والبنين.

۞۞۞

مضت الساعات والليل قد حلَّ بأشدِّ ظلامه وهما لا يزالان على وضعيهما..

فالفتى أمين يراقب يقظاً لم يُزِغ بصره عن السماء ولو لفترةٍ قصيرة، كلّه صدقٌ وإصرارٌ في الوصول بالأصول لغايته السامية، فالغفلة يمكن أن تقابلها خسارة عظيمة إذا حدثت أثناء ليلة القدر ويتأخَّر تحقيق طموحه سنةً كاملة..

فلا للنوم ولا للخمول، حتى اقتربت الشمس من البزوغ وانتشر ضوء النهار في السماء وحلَّقت الطيور فرحةً مغرِّدةً بحلول نهار جديد واتَّجهت العصافير تبحث عن أرزاقها مزقزقةً.. عندها قال السيد محمد أمين:

لقد انقضت أولى الليالي وحلَّ النهار ولم تحدث ليلة القدر فلعلَّها تحدث الليلة القادمة إن شاء الله.

وأعادا ذلك ليلة إثر ليلة حتى انقضت تسع ليالٍ من الليالي العشر الأخيرة.. ولم يتحقَّق شيءٌ من الوصف الذي سمعوه عنها..

ولما شارفت الليلة العاشرة والأخيرة أقبل السيد محمد أمين على صديقه وقد لوَّن وجهه صدقٌ غريبٌ عجيبٌ وإصرارٌ عظيمٌ على تحقيق مبتغاه وقال مخاطباً صديقه بصوتٍ مصطبغٍ بالجدِّيّة العظيمة:

بهذه الليلة حتماً ستظهر ليلة القدر وسيتحقَّق مطلبي.. ثم استلقى على ظهره واستلقى صديقه بجانبه وتابع الفتى المشرق بالأمل ينظر بصحوةٍ ونشاط واهتمام عظيم أكبر من كل ليلة مضت..

ولكن ويا للأسف فلقد اقترب الفجر ولم يحدث شيء، وعندما أشرقت الشمس وتعالت أصوات تكبيرات العيد نهض السيد محمد أمين وقد أدرك أن كل ما سمعه عن ليلة القدر من وصف لا أساس له من الصحة، فهذا الزعم الذي يزعمه الناس عن ليلة القدر وكيفية حدوثها والاستفادة منها بالدعاء فيها ليس بصحيح أبداً.. أبداً.

ثم التفت إلى صاحبه بنظرات مزروعة بالأمل والطموح وقال:

يا صاحبي إن ليلة القدر حتماً بغير هذا الوصف وحتماً هنالك طريقة أخرى لنوالها وهي تختلف تماماً عمَّا سمعناه وبإذن الله لا بد أن أقطفها.

۞۞۞

فإلى أيّة منزلة سمت به الحريّة بالرأي منذ نعومة أظافره وتفتُّحه على هذه الحياة!. وإلى أية مكانةٍ أوصله صدقه العجيب لينطلق ويُبحر باحثاً في عالم الحقيقة متحرِّراً من أَيَّة أفكار ومعتقدات جامدة لا أساس لها فاستطاع بمغامراته الذكية الرائعة ردَّ الأقاويل الكاذبة والبدع الخرافية.

تُرى ما أثمن معدنه السامي الذي يدفعه لإعطاء التفكير حقَّه والخوض في ميادين اكتشاف الحقيقة ذلك الفتى المفكِّر الحرّ الذي لم يخضع

للمعتقدات الجامدة التي يمكن أن تحطّ من شأن الإنسان (الكائن المفكِّر) وتقلِّل من إنسانيّته بإهماله لتفكيره وهو الجوهرة الثمينة التي أيَّده الله بها ليُميِّز به النافع من الضار والصحيح من الخطأ ويسلك السبيل القويم!.

فأجدر بالإنسان أن يتحقَّق مما يسمعه من الناس قبل أن يتبنَّاه.. فإن كان صحيحاً سار فيه ودلَّ الناس إليه ﴿ ...**إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾ بعد أن تحقَّق من صحته بتجربته العمليّة الواقعيّة، أما إن لم يكن ما سمعه صحيحاً ولا حقيقة لوجوده فليضرب به عرض الحائط ويتبرّأ منه.

«**نحن أمّة أميّة نؤمن بما نرى ونشهد**» أي: نكتشف الحقيقة بما نرى بأمِّ أعيننا لنشهدها بقلوبنا وبصائرنا.

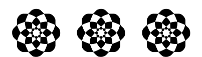


الأسئلة والتدريبات:

1- هل يئس السيد محمد أمين عند سماعه تكبيرات العيد وانتهاء مراقبته لليلة القدر دون الحصول عليها؟.. وبماذا أجاب صديقه حينها؟.

2- رأينا بالقصة السابقة كيف أن العلّامة الجليل محمد أمين شيخو منذ أن كان هلالاً لم يساير المجتمع الذي يعيش ويحيا فيه.. بل أخضع كل ما يسمعه للتجربة العمليّة. فإن كان صحيحاً سار فيه ودلَّ الناس عليه بعد أن يتحقّق من صحته بتجربته العمليّة الواقعيّة، أما إن لم يكن ما سمعه صحيحاً ولا حقيقة لوجوده يتبرأ منه.. وهكذا الإنسان يجب عليه أن يتحقّق من كل ما يسمعه وأن يكون مطابقاً لما جاء في كتابه العزيز.. وهكذا كانت حياة هذا الإنسان الفاضل وسيرة حياته الشريفة يقرن كل شيء بالتفكير ويقرن القول بالعمل، حتى أفاض الله عليه بالعلم الصحيح فأتى بمعاني ليلة القدر على وجهها الحق والصحيح كما تعلمتم بالدروس السابقة، وبكل علوم القرآن الكريم.. وسَلَّك بذلك طلاباً كثر ومنهم من جد واجتهد ونال من فضل الله تعالى في تلك الليلة المباركة.

ماذا تستنتج من هذه القصة الواقعيّة؟.



سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

الدرس الثالث عشر

تأويل سورة العلق

طلابنا الأعزاء: بعد أن بيَّن لنا تعالى في سورة القدر ما يعودُ به الإقبال على الله من العلم والمعرفة، أراد أن يبيِّن في هذه السورة الكريمة ضرورة هذا الإقبال لنا في حياتنا، فلفت نظرنا إلى المُعرض وسوء معاملته وشقاوته، وإلى المقبل المستنير وإحسانه للخلق وسعادته في حياته.

وقد بدأ لنا هذه السورة الكريمة ببيان شرف الرسول الكريم ﷺ، الذي اكتسب بإقباله على ربه من الصفات والكمالات الإلهية ما جعله حقيقاً بأن يكون رسول رب العالمين، ومُبلِّغاً رسالات ربِّه إلى الناس أجمعين، فقال تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾

فما هو معنى كلمة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾؟.

ٱقۡرَأۡ: مأخوذة من قرأ، وقرأ: بمعنى **اطَّلع**.

نقول: قرأتُ الغضب في وجه فلان، أي: اطَّلعت عليه.

وقرأتُ الصحيفة، أي: اطَّلعت على ما فيها.

وتأتي **ٱقۡرَأۡ** بمعنى: **بلَّغ**.

فقد تقول لصديقك: إذا وصلت المدينة فاقرأ السلام على أهلي.

أي: بلِّغهم سلامي.

ويكون ما نفهمه من خطاب الله لرسوله الكريم ﷺ بكلمة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾: أي: **بلِّغ** عبادي ما **اطَّلعت** عليه من كلامي وهدايتي.

وأما كلمة ﴿رَبِّكَ﴾ فالمراد بها: توجيه الإنسان إلى صاحب هذا الكلام فإذا عرفت أنه كلام ربك، فلعلَّك تُصغي إليه بإذنك وسمعك.

والرب: هو المربي الممدُّ بالحياة الذي به قيامك وبقاؤك، فبإمداده تسري الحياة في كل ذرَّة من الذرَّات، وبتجلِّيه الدائم تنبعث فيك الحياة ويستمر وجودك.

وأما كلمة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾: فهي تشير إلى ما تحلَّى به الرسول الأعظم ﷺ من الصفات، وما اشتقَّه من ربه من الكمالات التي جعلته أهلاً لتبليغ الأوامر والرسالات، فالمِلك لا يقول لرجل من عامَّة الناس اقرأ باسمي هذا المنشور على رعيَّتي، وإنما يقول ذلك لأمين سرّه وأخص وزرائه. ذلك لأن الذي سيقرأ باسم المِلك، إنما يجب أن تكون فيه الصفات والمؤهِّلات التي تجعله جديراً بتلقّي الأوامر من مليكه وقراءتها

على رعيته.

فهذا الرسول الكريم ﷺ بإقبال نفسه على ربِّه الإقبال العظيم، حاز من الصفات العالية، وكان له من الصفاء والطهارة ما جعله أهلاً لانطباع الحق على صفحات نفسه الطيبة الطاهرة، فصار ذا أهلية لتبليغ ما انطبع فيه من الكمال والمعرفة، ومُجمل ما نفهمه من كلمة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾: أي: بلِّغ عبادي كلامي باسمي، أي: عن لساني.

ثم أراد تعالى أن يبيِّن لرسوله اسماً من أسماء ربه الممد بالحياة:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾

وخلق الشيء، أي: أخرجه للوجود، وأظهره على غير مثالٍ سبق.

فكل ما تشهده من الكائنات، وكل ما تقع عليه حواسك وتدركه من الموجودات إنما خلقه على هذا الترتيب، وأوجده بهذا الحال من الإتقان والكمال ربُّك الممد لك بالحياة.

وقد أراد الله تعالى أن يفصِّل للإنسان هذه العظمة في الخلق بما هو متصل بنشأته ووجوده، فقال تعالى:﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾

والعلق: جمعُ علقة، والعلقة هي: القطعة من الدم، فهذا الإنسان الذي هو أغلى الموجودات وأكملها، والذي هو أشرف المخلوقات وأتمها

صورة، إنما هو مخلوقٌ من علقٍ، فإذا كان هذا هو أصل الإنسان وحاله، فما أعظم قدرة الخالق وما أجلَّ شأنه، وما أجدر الإنسان وهذا حاله وأصله أن يذعن إلى خالقه الذي خلقه وأنشأه، فيصغي إلى هداه، ويتَّبع نصحه وبيانه.

ثم أراد تعالى بأن يبيِّن للإنسان واسع فضله، وبالغ نعمته وإحسانه، فقال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾

فمهما رأيت من إحسانه وعطائه، ومهما شهدت من إكرامه وإنعامه، ففضله أعظم، وما هيَّأه لك من العطاء في الآخرة أبقى وأوسع. ثم بيَّن تعالى فضله على الإنسان وسائر المخلوقات فيما بثَّه في نفوسها من الغرائز التي تستطيع بواسطتها السير في هذه الحياة، ويتأمن لها معها السرور والهناء، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾

والمراد **بالقلم**: الكتابة. نقول: قلم الوزارة، ونعني بذلك: دائرة التسجيل والكتابة، حيث تُسجَّلُ الوقائع وتُكتب.

ويكون المراد من كلمة **(القلم)** الواردة في هذه الآية: ما ثبَّته الله على صفحات الأنفس من الغرائز، وما أوجده فيها من الشهوات، فلكلِّ مخلوق غريزة خاصة، ولكل مخلوق شهوات مناسبة. فالبطُّ لا يلبث فرخه ما أن

ينقف حتى يعدو إلى الماء، فيسبح فيه بمهارة وإتقان عجيب، والهرُّ يفترس، والعُصفور يبني عشه على أكمل وجه وأتم ترتيب، والنحلة تبني الخلية بناءً مُحكماً وتجني العسل من الأزهار، والطفل الصغير لا يلبث أن يخرج من بطن أمِّه حتى يُحرِّك شفتيه مُستعداً للرضاع.

فمن الذي علَّم فرخ البط السباحة في الماء، وعلَّم الهرَّ الافتراس والقضاء على الحشرات؟. ومن الذي علَّم العصافير كيفية بناء الأعشاش وأرشدها إلى أن تضع فيها الريش الليِّن ونُتف الحرير؟.أمَّن هذا الذي علَّم النحل بناء الخلية، وعلَّم الطفل منذ خروجه إلى هذا العالم الرضاع؟.

تلك هي قدرة الحكيم الخبير والخالق العظيم، كتَبَتْ على صفحات كل نفس ما يناسب معيشتها وما هي بحاجة إليه. فترى كلَّ مخلوق يهتدي بفطرته إلى ما أثبته الله في نفسه من الغرائز مما تقوم به حياته ويتأمَّن معه بقاؤه، وتتم له به سعادته، من غير حاجة إلى دلالته وإرشاده إليه، فهذه الغرائز المثبتة على النفوس والشهوات المكتوبة على صفحات القلوب، أمكنتْ كلَّ مخلوق من الإهتداء، وأرتهُ طريق السير في هذا الوجود.

ولولا هذا النقش، وإن شئت فقل لولا هذا القلم لوقفت الخلائقُ حيارى لا تقوم بعمل، ولا تشتهي شيئاً، ولا تهتدي إلى شيء.

فالتعليم إذاً إنما هو بالقلم، أي: توصُّل كلِّ مخلوق إلى كيفية السير في الحياة إنما هو ناشئ عن تلك الكتابة التي كتبتها يد الحكيم الخبير على النفس فسبحان من أودع الغرائز المختلفة في هذه المخلوقات، وجعل لها هذه الشهوات تدفعها إلى السير وتجعلها تتمتع بلذة الوجود والسعادة في الحياة.

وقد أراد تعالى أن يعرِّف الإنسان ذاتَهُ بهذه الكتابة التي كُتِبت على صفحات نفسه، وأن يسوق له على ذلك القلم الدليل على نفسه فقال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

فلولا التعليم الذي علَّمك ربُّك لكنت لا تعلم شيئاً، أي: لولا ما كتبه الله في نفسك من شهوة لكنت جماداً لا تفقه ولا تسير في الحياة خطوة، لكنها نعمة الله عليك، أثبتت في نفسك ما تقوم به في حياتك من الغرائز، وما تتأمَّن معه سعادتك من الشهوات، وأنت بهذه الكتابة تندفع وراء حاجاتك وتتعرف إلى كلِّ شيءٍ.

فهذه الكتابة وإن شئت فقل بالقلم، علَّمك ربُّك فأصبحت في هذه الحياة تهتدي إلى الأشياء، وتستطيع أن تتعرَّف إلى الموجودات وتلتذ وتنعم بما أوجده ربك من الطيبات، ولولا هذه الكتابة لما وجدت لذة ولا نعمة بشيء ولما اهتديت إلى شيء، وقد أراد تعالى أن يُبيِّن للإنسان ضرورة

اهتدائه بربه في سيره في هذه الحياة، وتمتّعه بما أودعه فيه ربه من شهوات، ليكون سيره كله خيراً ولتكون لذته وتمتعه عائدة عليه بالسعادة والهناء، وقرَّر تعالى ذلك في النفوس، وأورد بصيغة الاستفهام ليكون أوقع وأثبت في القلوب فقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾

والمراد بكلمة ﴿ كَلَّآ ﴾: التقرير، أي: أليس ذلك حقاً؟. ألست أنا أيها الإنسان الربُّ الذي خلقك؟.ألستُ الذي خلقتك من علق؟. ألستُ الذي علَّمتُ بالقلم؟.ألستُ الذي علَّمتك ما لم تعلم؟.

أفبعد كل هذا تُخالف أمري، وتطغى مجاوزاً نصيحتي، معرضاً عني وأنا الذي خلقتك، وأنا أعلم بما فيه سعادتك؟.

ثم ندَّد تعالى على الإنسان طغيانه واستغناءه عن ربِّه فقال تعالى:

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾

ويعود الضمير وهو (**الهاء**) في كلمة (**رَءَاهُ**) إلى الإنسان ذاته، ويكون ما نفهمه من الآية المذكورة:

أي أَبعد أن أصبحت إنساناً سوياً ورأيت ما وهبتك من علم ومعرفة، وما أكرمتك به من صحة ونشاط وقوّة، أَبعد أن رأيت ذاتك ومكانتك نسيتني واستغنيت عني، فأصبحت لا ترى فضلي وأنا الممد لك في كل لحظة وحين، ولا تذكر عطفي وإحساني وأنا لا أغفل عنك طرفة عين.

ثم أراد تعالى أن يخفِّف من غلواء هذا الإنسان الجاهل، وأن يغضَّ من كبرياء هذا المخلوق الضعيف الغافل، فذكر له أن كلَّ ما لديه الآن من علم ومعرفة وكل ما يتمتَّع به من صحة وحياة وقوة، كل ذلك من فضل الله عليه، وراجع إلى إحسانه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾

والرجعى: هي الرجوع، فرجوع الإنسان دوماً إلى ربه، وهو مرجعه في كل حركة من حركاته، فلولا إمداده تعالى لك لما استطعت أن تقوم بعمل أو أن تتحرك بحركة، فلا تحسبنَّ أن لك غِنى عن ربِّك، أو أن لك حَوْلاً وقوة فحولُك منه، وقوَّتك به، ومرجعك في كل أمر من أمورك إليه، فهو المسيِّر وهو الربُّ الممد المتصرِّف.

ذلك ما نفهمه من آية: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾، كما نفهم أن كل ما وهبنا ربنا من العلم والمعرفة والحياة والقوة ذلك كله وديعة عندنا من الله وأمانة وعارية مستردَّة، وأنه لا بدَّ لنا من يوم تكون فيه الرجعى إلى الله، يوم نموت فنعود إلى ربنا فيستوفي ما أَوْدعنا، وإليه تعالى إذ ذاك مردُّنا ومرجعنا.



التدريبات:

كل ما حولك من الكائنات مثل الأشجار والثمار والحيوانات هو آية من الله لك.. آية أي: شيء ظاهر ومكشوف يدلك على الله تعالى..

اختر إحدى هذه الكائنات.. اختر بقرة.. دجاجة.. بيضة.. طائر.. شجرة.. أنت ماذا تريد أن تختار من المخلوقات اختره وفكر به بدقة وعناية، انظر إليه كيف خرج للوجود.. كيف تدرج بهذا الخروج.. انظر إلى تركيبته.. انظر إلى وظيفته التي يقدمها للإنسان.. وهكذا فكر ملياً وطويلاً فإن هذا التفكير بالمخلوقات هو أمر من الله تعالى.. وهوالذي يقودك للإيمان به عز وجل.

۞۞۞

الأسئلة:

1- ما الذي جعل رسول الله ﷺ أهلاً لانطباع الحق على صفحات نفسه الطيبة الطاهرة؟.

2- ما هو معنى قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾؟.

3- اشرح معنى اسم الله ﴿ ٱلْأَكْرَمُ ﴾.

الدرس الرابع عشر

تتمة تأويل سورة العلق

طلابنا الأعزاء: بعد أن بين لنا الله تعالى أهلية الرسول ﷺ الكبرى للرسالة والهداية، وبعد أن أمره ربه بالدعوة والتبليغ من أجل إنقاذ الناس وسعادتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور.. وبعد ما بين لنا تعالى ما بثه على صفحات الأنفس وثبته عليها ليقوم كل مخلوق بما خصص له من الوظائف، لفت تعالى نظرنا إلى حال إنسان مقبل على ربه وحال إنسان معرض عنه لنعلم أن المقبل سعيد في نفسه ومحسن للخلق أجمعين وأن المعرض عنه شقي وتعيس، فقال تعالى:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾

وفي قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾: لفت تعالى نظرنا إلى امرئ معرض ازداد في الإعراض لدرجة أوصلته إلى أن يصد الناس عن الله تعالى.

وجاءت كلمة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بصيغة الاستفهام بياناً وتقريراً.

أي: انظر أيها الإنسان إلى معاملة المعرض السيِّئة وسلوكه المنحط ثم انظر إلى تعاسته في دنياه وما هو فيه من شدة وشقاء وما يجرّه الإعراض لصاحبه من الشقاوة وما يرجع له من الأذى والإضرار بالناس، وفي

قوله تعالى:

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾: لفت تعالى نظرنا إلى حال رجلين مؤمنين: امرئ مُقبل، وآخر زاد في الإقبال حتى ساقه إقباله إلى دعوة الناس إلى التقوى والتوجُّه إلى الله، وجاءت كلمة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ أيضاً بصيغة الاستفهام للتقرير والبيان، أي: انظر إلى المعاملة الطيبة والسير العالي الذي يصدر عن المقبل على ربِّه وعن المؤمن الداعي إلى الله، ثم انظر إلى سعادتهما وما هما فيه من طمأنينة وهناء. وإن ذلك المعرض لو كان سائراً سيرهما لما أصابه ما أصابه من التعاسة والشقاء.

وأخيراً لفت تعالى نظرنا إلى المُعرض الذي تولَّى عن الله بآية:

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾

نعم إنه تولّى بنفسه غير أنه لم يتعرَّض لصدِّ أحد من الناس، فهو وإن كان لا يصدُّ الناس عن الهدى غير أن تكذيبه وتولِّيه عن ربه يجعله يضل طريق سعادته، ولذا تجده أيضاً شقياً في نفسه غير سعيد في حياته سيِّء المعاملة شديد الإيذاء لغيره.

وإذن فالُمقبل كيفما كان سعيد مُحسن، والُمعرض أياً كان شقي ومؤذٍ. والسعادة والإحسان ثمرة الإقبال والإيمان، والشقاء والإيذاء ثمرة

الإعـراض فسـعادتك بيـدك والخـير كلّـه في الإقبـال عـلى الله، وشـقاوتك بيدك والشـرّ كله في الكفر أي الإعراض.

وبعد أن سـاق تعـالى مـن الأمثلـة مـا بـيَّن بـه حـال الـمقبل مـن حيـث سـيره وسعادته وحال المعرض من حيـث أذاه وشـقاوته ذكَّـر تعـالى ذلـك المعـرض بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾

أي: ألا يعلم ذاك الذي ينهى غيره ويصدُّ الناس عن الـهدى أن الله تعـالى يرى الخلائق كلها، فلا يعزب عن علمـه مثقـال ذرةٍ في السـموات ولا في الأرض، وأنه ناظر إليه وشاهد على عمله، فكل ما يعمله مسطَّر عليه.

ثم بين تعالى ضلال ذلك المُعرض عن طريق السعادة والخير فقال تعالى:

﴿كَلَّا﴾

أي: ليس هذا السير الذي تسيره يا أيها المعرض بالسير المفيد لك، وليس هذا العمل الذي تقوم به بالموصل إلى ما فيـه خـيرك وسـعادتك، ثـم هـدَّده تعـالى بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾

والسفع: هو اللطم والأخذ بشدة، **والناصية**: هي مقدمة الرأس، **والسفع بالناصية**: كناية عن الأخذ بشدة مع الإذلال، وعدم القدرة على التفلُّـت.

فإنك إذا أخذت امرءاً من ناصيته فقد تـمكَّنت منه وأخذته بقوةٍ أخـذاً لا

يستطيع التفلُّت منه. وكما تأتي **الناصية** كناية عن النفس المجرمة التي فقدت معظم نورها الأزلي، إذ كانت في الأزل نفساً مستنيرة استنارة ساطعة مكتسبةً من نور الله، ثم غاصت في الشهوات فتضاءل نورها واضمحلَّ فحلَّت بها الآفات والخطايا والإجرام والذي كان سبباً لشديد الإيلام والآلام، فبسبب هذا الضعف تُؤخذ للعلاج كما يؤخذ المريض إلى المشفى ليخفَّف عنه ما به من أسقام وأدران(1).

فالله سبحانه يُذكِّر المعرض وينبِّهه فإذا لم ينته ويرجع عن غيِّه فهنالك يأخذه أخذاً شديداً لا يجد لنفسه منه مخلصاً. ثم بين تعالى صفة تلك الناصية بقوله: ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾

وكاذبة: أي: مكذِّبة بالحق. **وخاطئة:** بمعنى: مخطئة، فقد أخطأت طريق سعادتها، وأخطأت طريق الحق الذي فيه خيرها وحياتها. ثم بيَّن تعالى أن الأخذ بالناصية إنما يكون ساعة الموت يوم ينقضي عمر الإنسان وينتهي أجله.

وقد حذَّر الله تعالى من تلك الساعة الرهيبة، حين تأتيه الملائكة، ملائكة الموت، لتستلَّ روحه فما يفيده في تلك الساعة تكذيبه، ولا يخلِّصه من الموت ذووه ولا أصحابه، ولذلك قال تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾

---

(1) لطفاً راجع كتاب عصمة الأنبياء - بحث عالم الأزل.

والنـادي: هـم الجمـاعة الـذين تنـاديهم في المهمّـات فيلبُّـون نـداءك. وتدعوهم فيبادرون لنصرتك ثم قال تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾

والزبانية: مأخوذة من زَبَنَ بمعنى نحَّى وفصل، وقد سمَّت العرب الشرطة الزبانية، لأنهم يفصلون المجرم عن المجتمع وينحونه.

والزبانية: هنا هم ملائكة الموت، يفصلون الروح عن الجسد، وينحُّون المرء عن هذه الحياة فإذا كنت أيها المعرض لا تبالي بما تفعل، ولا تنتهي عما تقارف وتكسب، فاعلم أنك لا بد ميت وراجع إلى ربك، واستعد لتلك الساعة التي تأتيك فيها الملائكة لتتوفاك فتفصل روحك عن جسدك، وهنالك لا مفر ولا ناصر لك. ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾

أي: لا تعبأ أيها المؤمن بهذا المكذِّب الذي يريد أن يصدِّك ولا تلتفت إليه. ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾

وسجد: طلب حاجته بخضوع. واسجد أي: ثابر على إقبالك على ربك طالباً فضله وإسباغ نعمته عليك. **واقترب**: أي: وتقرَّب إليه بعملك لتصبح أهلاً لفضله ونعمته عليك.

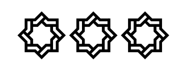


النشاط الذاتي:

1- عليَّ أن أفكّر دوماً ببداية خلقي متسائلاً ممّ خلقت؟.. من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم صرت جنيناً. عليّ أن أذكر فضل الله وعنايته بي وتربيته لي حتى صرت إنساناً سوياً، فهذا هو طريق إيماني بالله تعالى .

2- علي أن أذكر دوماً فضل الرسول الكريم ﷺ عليّ وعلى العالمين وهو الذي بلّغ كلام الله ورسالته، وعليَّ أن أنهج نهجه في تبليغ الدعوة.

3- أن أبتعد عن التكبُّر على خلق الله تعالى، لأنّ كلّ ما أوتيته من علم وصحة ومكانة وقوة وحياة إنما هو فضلٌ منه سبحانه وتعالى.





التدريب:

- احفظ سورة العلق من أستاذك جيداً وتعاون مع أصدقائك وأهلك بالبيت على دراسة وتعلم ما جاء فيها من معان سامية.

۞۞۞

الأسئلة:

1- ما معنى قوله تعالى ﴿ٱقۡرَأۡ﴾؟.

2- ماذا نال رسول الله ﷺ من الله تبارك وتعالى حتى أذن له ربه أن يتحدث باسمه عز وجل؟.

3- إلى ماذا يُشير قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾؟.

4- هل فضل الله سبحانه وتعالى يقتصر على الإنسان وحده؟ وهل له حدٌّ أو انتهاء؟.

5- لماذا يجب على الإنسان أن يهتدي بنورِ ربّه لتحقيق ما أودعه فيه من الشهوات؟.

6- وازن بين حياة امرئ مقبلٍ على خالقه عزَّ وجلَّ وآخر معرض عن ربّه.

7- لماذا سمَّى القرآن الكريم نفس المعرض **(بالناصية)**؟.



سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

الدرس الخامس عشر

تأويل سورة التين

أعزائي الطلاب: أراد تعالى عطفاً منه علينا ورحمةً بنا في هذه السورة الكريمة أن يُلفت نظرنا إلى عظمة المخلوقات، فلعلَّنا إذا فكَّرنا بها واستعظمنا خلْقَها ننتقل منها إلى تعظيم خالقها وموجدها، فيكون لنا من تعظيمه سبب لإقبالنا عليه تعالى وسعادتنا، فإنما ينبعث الإيمان بالله تعالى عن طريق التفكر بما خلق الله تعالى في السموات والأرض..

ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾

فبكلمة: **والتين**: يريد تعالى أن يُلفت نظر الإنسان، وأن يوجِّه تفكيره إلى ما في ثمرة التين من عظمة الخلق. فلو نظر الإنسان إلى هذه الثمرة مُفكِّراً في كيفية تلقيحها وانعقادها لوجد أمراً عجيباً، فالتين كما نعلم ذكر وأنثى وأنه لا يتم انعقاد الثمرة إلا بعد تلقيحها بواسطة تلك الحشرات الصغيرة التي تطير من الثمرة المذكَّرة حاملة غبار الطلع حتى تصل إلى الثمرة المؤنثة، فمن الذي جعل التين ذكراً وأنثى؟. ومن الذي خلق هذه الحشرة الصغيرة تغدو وتروح بين الثمرتين؟. من الذي عرَّفها وأرشدها

إلى أن تحمل هذا الغبار من ثمرة إلى ثمرة، وجعل لها هذه الوظيفة؟.

ثم انظر إلى الثمرة بعد استوائها ونضجها، وسَلْ نفسك من الذي أودع الحلاوة في هذه الثمرة، وجعل لها هذا الطعم اللذيذ، وهي إنما تخرج من الخشب وليس في الخشب من ذلك شيء؟.

ثم انظر من جهة ثانية إلى ثمرة التين تجد فيها بذوراً عديدة، في كل بذرة صغيرة انطوت شجرة كبيرة عظيمة، وفي الشجرة المنطوية أوراق وأغصان وأثمار، وفي الأثمار بذور، وفي البذور أشجار، وفي الأشجار أثمار وبذور وإنك إذا ذهبت تفكّر في ذلك وجدت في البذرة الواحدة الملايين من الأشجار، مما لا يحصيه عدد ولا يحيط به إدراك، فكيف انطوى ذلك كله في تلك البذرة الصغيرة التي اشتملت عليها ثمرة التين؟.

وإذا كان فكرك يضيق، وإدراكك يعجز عن الإحاطة بما في بذرة التين من أشجار وأثمار وهي مخلوق صغير من المخلوقات فكيف أنت إذا نظرت إلى خالقها العظيم، خالق الأرض والسموات، ذلك كله توحيه لنا كلمة: ﴿وَٱلتِّينِ﴾..

وفي كلمة: ﴿وَٱلتِّينِ﴾.. آيات بيِّنات.

أما كلمة: ﴿وَٱلزَّيۡتُونِ﴾: فإنها توجِّه نظرك وتدعو فكرك إلى النظر في هذه الثمرة وما فيها من آيات.

فمن أين أتت هذه المادة الدهنية إلى الزيتون وليس في التراب الذي يتغذى منه دهن ولا زيت، فمن الذي أودع فيه الزيت وجعل له هذا الطعم اللذيذ؟. من الذي أخرج نبتة الزيتون الضعيفة من تلك النواة القاسية الصلبة التي لا تتكسَّر إلا بعد جهد جهيد؟. ما هذه القناطير المقنطرة من الزيت والزيتون التي تجود بها شجرة الزيتون التي تعيش وتُعمِّر مئات السنين، ذلك كله إنما انطوى في تلك النواة الصغيرة التي تلفظها من فمك غير ناظر إلى ما أودعته فيها يد الخالق العظيم والمدبِّر الحكيم.

وبعد أن ذكر تعالى التين والزيتون وما انطوى فيهما من حكمة عالية وقدرة عظيمة وفضل ونعمة، بيَّن تعالى لعباده مصدر تلك الحكمة والقدرة والمنبع الذي يفيض بهذا الفضل الواسع والنعمة السابغة، فقال تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾

أي: إنما ذلك هو صادر عن طور سينين.

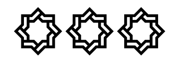
والطور: إنما تعني تلك القدرة الإلهية الكاملة والشأن الإلهي الذي

يفيض برّه وتشملُ رحمته ويغمر إحسانه الكائنات كلها والمخلوقات جميعها.

وسينين: مأخوذة من السناء، وهو الرفعة والعلو، وطور سينين: أي: العالي الذي لا يتناهى. وبشيء من التفصيل ولتقريب ذلك من الفهم نقول:

قد يتحدَّث الناس عن كرم رجل، ويُكبرون فيه هذه الصفة العالية، ثم يرجعون بالقول فيقولون: لا عجب ففلان طوره عالٍ، طوره الكرم، وقد يذكرون مروءة شخص وأعماله الإنسانية ثم يقولون: لا غرابة في ذلك ففلان طوره عالٍ.. طوره المروءة والإنسانية.

وإذا كانت كلمة: (**الطور**) إنما تعبِّر عن طبيعة المخلوق وعن خُلُقه، فإن كلمة: (**الطُور**) إنما تشير إلى كمال الذات العلية الكريمة وإلى شأنها العالي البالغ في العظمة والرحمة، فمن الطور الإلَهي لا يصدر إلاَّ الفضل والإكرام وعن طور سينين لا يفيض إلا البر الإلَهي والإحسان. ومن طور سينين تنبعث الرحمة الإلَهية الشاملة التي تسبح فيها سائر المخلوقات.



التدريبات:

1- لماذا تبدأ بعض السور الكريمة بذكر الآيات الكونية وما يتفضل الله به على العباد؟. اذكر الحكمة المنطوية وراء ذلك.

2- احفظ السورة الكريمة من أستاذك جيداً وثابر دائماً على إمعان التفكير بها درسته وتعلمته من تأويلها المبارك.

التوجيه والتطبيق:

- قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾[1] عزيزي الطالب: إن النظر المقصود بهذه الآية الكريمة هو التفكر بما تتناوله من طعام.. والآية الكريمة جاءت بصيغة الأمر، فالله تعالى الذي خلقك وأنعم عليك بجهاز الفكر يأمرك أن تتفكر بطعامك الذي خلقه لك لكي تقدر فضله وإحسانه ورحمته وحنانه وتكون من الشاكرين..
- أمسك بيدك نوعاً من الفاكهة أو الخضار غير التين والزيتون، وحاول أن تعدّد خواصّه ومزاياه بنفس الطريقة الواردة في مطلع تأويل هذه السورة الكريمة (سورة التين) وتأمّل عظمة خلقه

(1) سورة الإنسان: الآية (24).

وتـذكّر دورة حياتـه كيـف نمـت شـجرته وكيـف ستنتهي، وتأمّـل عظمة خالقه وعظيم فضله تعالى علينا بهذه الثمـرات.. وثـابر عـلى ذلك طول حياتك لتكون من المؤمنين.





الدرس السادس عشر

تتمة تأويل سورة التين

أعزائي الطلاب: بعد أن بدأ تعالى هذه السورة الكريمة بذكر التين والزيتون ليُشهدنا ما في هاتين الثمرتين من حكمة وقدرة وفضل ومنَّة، ذكر لنا كلمة: (**الطور**) ليبين لنا المصدر الذي ينبعث عنه هذا الفضل، ثم تدرَّج بنا إلى درجة أوسع في التأمُّل والتفكير فوجَّه نظرنا إلى الكون كله.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾

والمراد **بالبلد** هنا: الكون كله، فهو لهذا النوع الإنساني بلد أمين فيه كل شيء، فليس ينقصه شيء.

وبعد أن بيَّن لنا تعالى من الآيات ما يعرِّفنا بشأنه العالي وفضله العظيم أراد تعالى أن يعرِّفك أيها الإنسان بنفسك، فذكر لك ذلك المركز العالي الذي أقامك به بين سائر المخلوقات وأراك منزلتك في هذا الكون العظيم، وأنك فيه أحسن تقويماً من بين كل هذه المخلوقات ولذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

فالله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم بما جعل فيه من القابلية للتحلِّي بالفضيلة والكمال، والله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم بما

فطره عليه من الاستعداد لاشتقاق الصفات الكاملة من ربه اشتقاقاً عجزت عن الوصول لمثله كل المخلوقات.

والله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم بما جعله فيه من الأهلية لمعرفة الذات العلية.. معرفة عالية قصرت عنها أنفس الملائكة الكرام، فلا السماء ولا الأرض ولا الجبال ولا البحار ولا الشمس ولا القمر حتى ولا الملائكة المقرَّبون بأقدر على تحمُّل التجلِّيات الإلَهية وشهود الكمالات التي تدل عليها أسماء الذات العلية من نفس هذا الإنسان، وفي الحديث القدسي:

«**ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبديَ المؤمن**».

فالله سبحانه وهب هذا الإنسان من الفكر والملكات وأعطاه من البصائر وساق له من الآيات، وجعل له نفساً أشد قدرة وأصلب عوداً وأكثر تحمُّلاً من أنفس جميع المخلوقات، وإلى جانب ذلك كله منحه الحرية في الاختيار ولم يَكِلْ أمره إلى أحد كما هو عليه حال الحيوانات، فلعله بذلك يستطيع أن يشهد كمالات ربه تعالى، وأن ينعم برؤية أسمائه الحسنى رؤية تجعله يسبح في ذلك الكمال ويتمتع بذلك الكنز العالي دهر الدهور وأبد الآباد. وفي الحديث القدسي:

«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق وعرَّفتهم بي فبي عرفوني»[1].

فإلى ذلك خُلِقتَ أيها الإنسان، ومن أجل التمتُّع بذلك الكنز أوجدك ربك ووهبك ما وهبك من فكر وإدراك وملكات. وأنت في أحسن تقويم لتستطيع السمو بنفسك سمواً لا يدانيك فيه مخلوق.. فإن أنت أقبلت على ربِّك وتعرَّفت إليه فقد فزتَ بالسعادة الأبدية والحياة السرمدية. وإن أنت أعرضتَ فقد خسرت نفسك وما أعدَّه لك ربك من عطاء في الجنان وأصبحت مع أسفل السافلين من المخلوقات، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾

ولتفصيل معنى هذه الآية الكريمة نقول على وجه المثال:

هب أن ضبعاً وقع في قبضة إنسان، فانظر كيف يجد هذا الإنسان الضبع منحطاً دنيئاً لما ينبعث عنه من رائحة منتنة ولما كان يصدر عنه من الأذى. ثم انظر كيف يرى هذا الضبع نفسه في يد ذلك الإنسان مُحتقَراً وضيعاً.

(1) قال تعالى: **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** سورة الذاريات / 56/ وقد وافق على صحة الحديث الشيخ علي مُلاَّ القاري مُستنداً إلى تأويل ابن عباس رضي الله عنه لقوله تعالى: **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** أي ليعرفوني وقد اعتمده الصوفية وابن عربي وبنوا عليه أصولاً.

كذلك حال المعرض بعد موته، وفي القيامة حيث تظهر أعماله المنحطة وتنكشف حقيقته الدنيئة المنتنة، فيراه الناس حقيراً سافلاً، ويجد نفسه خبيثاً منتناً فيتألم من ذلك ويتقزز. ويشمئز منه الناس ويتقززون، ويشتد عليه الأمر ويسوؤه هذا الحال فلا يجد لنفسه إلا النار، فهو يطلب النار بحريقها ليمحو بها نتن رائحته وليداوي بها خبيث مرضه. وإنه وهذا حاله لا يطمع في الجنة حيث يرى نفسه بأنه غير لائق بها ولا جديراً بأن يكون من أهلها الأطهار الأصحاء وتمثيلاً لحال ذلك المعرض نقول:

هب أن امرأة خلقها الله على أبدع صورة وأجمل هيئة، ثم إنها أصابها المرض فظهرت في وجهها دمامل منتنة تقيَّحت وراح صديدها المنتن يسيل، فهل تطمع هذه المرأة بعد أن أصبحت فيما أصبحت به أن تذهب إلى مجتمع فيه النساء الصحيحات؟. وهل تجدها تحب أن تجلس بين الناس؟. أعتقد لا... لأنك تجدها خجلى بعلَّتها، متقززة من نفسها لا تحب إلاَّ أن تكون في مستشفى تُداوى به، وهي ممقوتة في نظر نفسها وفي نظر غيرها.

وكذلك حال كل معرض عن أمر ربه مخالف لخالقه، فهو يُردُّ أسفل سافلين.

وتمتد به هذه السفالة ويستمر عليه ذلك الحال إلى أن يُصار به إلى النار حيث المعالجة والمداواة.

أما المؤمن الذي قدَّم صالح الأعمال ولم يلوِّث نفسه بدرن المعاصي والآثام فتستمر عليه النعمة، ويدوم له الإكرام الإلهي فينزل بعد الموت في حالة أرقى ونعمة أعظم وأسمى، قال تعالى:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

فهم في حياة أسعد من حياتهم الأولى، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي غير ممتن عليهم به، بل يكرمهم ربهم بما يكرمهم مكافأة على ما قدَّموه من العمل الصالح وجزاءً على ما أسلفوه من الإحسان.

وبعد أن لفت تعالى نظرنا إلى النظام الكوني الذي قام به في هذا البلد الأمين وبعد أن جاءنا تعالى بآيات تبيَّن منها للإنسان: أن كل ما في الكون من المخلوقات قائم على أتم نظام وأكمل ترتيب قرر ذلك في نفوسنا فقال تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾

والدين: هو الحق، والوضع الذي تقتضيه الحكمة لكل شيء مما يدين أي يخضع لكماله ويراه حقاً أهل العقل السليم. ويكون ما نفهمه من آية:

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾: أي: بعد أن بيَّنتُ لعبادي ما بيَّنته من حيث سير الكون بالحق وكونه قائماً بالدين فأي شيء لا يؤيد قولك، وهذا البيان العالي الرفيع هل عليه أي ردٍّ منطقي: أليس هو الحق وما سواه باطل، وهل يستطيع أحد أن يأتي بمثله، أفلا يتبدى من خلال سير الكون بالحق قدرة ربّك، أولا ينطق لسان حاله بأنه حق وأنه قائم على أحسن ترتيب؟.

وبعد أن أرانا تعالى ما أرانا أراد أن يُعرِّفنا بمن نظَّم هذا الكون وأحكم كل شيء فيه لننتقل من استعظام الكون إلى استعظام خالقه ومربِّيه فنذعن له ونأوي بنفوسنا إليه ولذلك قال تعالى:

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

أي: أليس هو الله تعالى الذي أحكم المخلوقات كلها وأتقن صنعها فجاءت على هذا الكمال الذي تراه فيه؟. أفليس يجدر بك وقد عرفت عظمة ربك وخالقك أن تطيعه وتعلم أنه يجب ألاَّ يُعصى ولا يُخالف في شيء؟.

وهكذا كلمة: (**أحكم**): في هذه الآية، فالمراد منها ثبوت صفة الإحكام والإتقان لله تعالى وحده فيما تراه في هذه المخلوقات.

وأما كلمة: ﴿ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: فإنها تأتي لمعنيين اثنين.

- **الحاكم**: الذي يصدر عنه الحكم ويفصل في الأمور.

- **والحاكم**: الذي ينفِّذ الحكم ويطبِّقه.

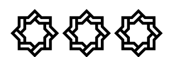
وكلمة: (**الحاكم**) في هذه الآية ليس المراد منها الحاكم الذي يفصل، فإنه ليس في الحقيقة في هذا الوجود حاكم غير الله. وهو وحده الحاكم، إنما المراد بها الذي ينفِّذ الحكم.

وعلى هذا فكلمة: ﴿ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: إنما تدل على المخلوقات كلها، فكل شيء منها قائم بوظيفته وعمله ويُنفِّذ ما أمره به ربه.

فالشمس مثلاً حاكمة على المياه، أي أنها تقوم بما رتَّبه لها الله تعالى من وظيفة وسيَّرها به وبذلك تتبخَّر المياه، والرياح حاكمة على السحب، أي أنها تُنفِّذ أمر الله تعالى فتسوقها من جهة إلى جهة ومن مكان إلى مكان، وهكذا كل شيء في هذا الكون قائم بوظيفته، مُسيَّر بأمر ربِّه.

وهذا ما نستطيع أن نفهمه من كلمة: ﴿ٱلْحَٰكِمِينَ﴾. ولكن من الذي خلق الكون كله وأحكم كل شيء فيه؟. أليس الله رب العالمين!. أليس وحده الجدير بالحب والإجلال والتعظيم؟. أليس كلامه حقٌّ ووعده

بالجزاء على الأعمال صدق؟. أفلا يجب عليك أن تأتمر بأمره وتطيعه فيما أنزله لك على رسوله الكريم ﷺ؟.فإن أنت أطعته تعالى فقد أفلحتَ وفزتَ بالنعيم المقيم وإن أنت أعرضتَ ظلمتَ نفسك وخسرت ما أعدَّه لك ربك من الخير.



النشاط الذاتي:

1- احفظ سورة التين من أستاذك جيداً وثابر على التقيد بها.

2- إن الحكمة من التسمية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قبل الأكل ليُذكِّر الإنسانُ نفسَه بهذه النِّعم التي تتوارد عليه من الله تعالى، وحينها يأكل طعامه بصحّةٍ وهناء ويشعر بالعرفان تجاه خالقه وأنّه تعالى مصدر الفضل والعطاء، ومواصلة التفكير أيضاً بأصل هذه النِّعم واستعظام خالقها لتسبح نفسه في بحور الفضل الإلهي متنعّمةً متسامية.

3- بعد الانتهاء من الطعام يحمد الإنسانُ اللهَ تعالى متذكِّراً فضله المتواصل بهذا الطعام اللذيذ.

الأسئلة والتدريبات:

1- إلى ماذا يريد الله تعالى أن يَلفت نظر الإنسان بقوله الكريم: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾؟.

2- ورد بالدّرس: «أن الله سبحانه وتعالى وهب هذا الإنسان من الفكر والملكات وأعطاه من البصائر، وساق له من الآيات، وجعل له نفساً أشدّ قدرة وأصلب عوداً وأكثر تحمُّلاً من أنفس جميع المخلوقات وإلى جانب ذلك كلّه منحه الحرية في الاختيار».

لأجل أيّ شيءٍ مهمٍّ وعظيم.. أعطى اللهُ الإنسانَ هذا العطاء ومنحه حرية الاختيار وسخّر له كلَّ هذا الكون؟. وضح ذلك.

3- ما معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾؟.

4- لماذا وصف تعالى أجر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّه: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؟.



سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾

صدق الله العظيم

الدرس السابع عشر

تأويل سورة الشرح

أعزائي الطلاب: في غمرة من الحزن الذي أصاب نفس رسول الله ﷺ بسبب معارضة قومه له في مكة، وعدم إصغائهم إليه واهتدائهم بهديه، أنزل الله تعالى عليه هذه السورة الكريمة ليسرِّي عنه ما يجده من ضيق وغم وليبشِّره بالفوز والنصر.

وقد أشار تعالى في مطلع هذه السورة الكريمة مذكِّراً رسوله الكريم بما كان يجده قبل الرسالة من الضيق بسبب تألُّمه على الخلق وعدم معرفته الطريق التي تكون بها هدايتهم وبما تبع ذلك من اليسر وانشراح الصدر، وكذلك الآن ومن بعد هذه المعارضة فلا بد أن تقرَّ عينه بهدايتهم ولا بدَّ أيضاً من اليسر ولذلك قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

أي: ألا تذكر ذلك اليوم الذي شرحنا لك فيه صدرك بمعرفة طريق الدلالة بعد أن كنت حزيناً متألِّماً على الخلق لا تدري السبيل الذي تنقذهم به من الضلالة والجهالة. ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾

والوزر: هو الحمل، والمراد به هنا: ما كان يحمله ﷺ من الـهمِّ والغـمِّ. وما كان يجده في نفسه من الحزن والأسف على قومه، ويكون ما نفهمه من هذه الآية:

أي: ومن بعد أن كنت حزيناً متألِّماً ألم نُـزل عنك بهذا الفتح والبيان ما كنت تحمله من الـهمِّ والغـمِّ. وما كنت تجده على قومك من التـألُّم والحزن؟. فما أشد رحمته ﷺ على الخلق.

وقد أراد تعالى أن يصف لنا ذلك الـهم والغـم لا بل ذلك الحمل الـذي كان يحمله رسول الله ﷺ بسبب إشفاقه على الخلق، فقال تعالى:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴾

وأنقض: بمعنى أتعب وأثقل. فقد كان هـمُّ رسول الله ﷺ وغمّه على الخلق شديداً أتعبه وأثقل ظهره. ويكون ما نفهمه من هذه الآيـة: أي: ألم نُنزِلْ عنك هذا الحمل الثقيل من بعد أن عرَّفناك بطريق الدلالة:

﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾

والذكر: هو البيان والتذكير. **والرفع**: هو إعلاء الشأن والقدر. ويكون ما نفهمه من هذه الآية:

أي: ألم نُطلق لسانك بالدلالـة فجعلنـاك تـتكلَّم بـما تـتكلم بـه مـن البيـان

الحكيم والكلمات الرفيعة المنزلة، العالية الشأن ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: ألم يصاحب ذلك الألم على الناس والضيق الذي كنت تشعر به قبل الرسالة الفرجُ واليسرُ بهدايتك تلك الهداية، والفتح عليك بتلك المعرفة التي فتح الله بها على قلوب المؤمنين، وبذلك الإيمان والعلم الذي تفتَّحت به قلوبهم بما جئت به من الدلالة والبيان، فتبع ذلك العسر ما تبعه من البيان العالي الرفيع فرفلوا به بالسعادة والنعيم فزال عنك الهمّ والغمّ والحزن، إذ شرحنا لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك فانتشرت دلالة القرآن وشملت أمة العرب في الجزيرة واليمن وتهيأت الأسباب لنشر الحق على العالمين فكنت رحمة لهم كافة. وكذلك الآن لا تحزن ولا يضيق صدرك، فالشدة والعسر اللذان كُنْتَ تلقاهما في نفسك من معارضة قومك وصدودهم عنك، فلا بد وأن يعطيك ربك مطلوبك فتهتدي العوالم ويؤمنوا بك ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾

فكل عسر لا بدَّ وأن يصاحبه يسر، وذلك قانون إلَهي، وتلك سنةٌ ثابتة وبعد أن بيَّن الله تعالى لرسوله ﷺ أن ما يجده من العسر بسبب معارضة قومه لا بد وأن يتلوه الفرج واليسر، أراد تعالى أن يبيِّن للرسول الطريق

التي بسلوكها يحصل ذلك الانفراج واليسر، ولذلك قال تعالى:

﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴾

وفرغ من الشيء: خلا منه. **ونصب**: بمعنى جدَّ واجتهد. فالله تعالى في هذه الآية الكريمة إنما أراد أن يقوِّي عزيمة رسوله ﷺ، وأن يبعث الثبات على الدعوة إلى الحق في نفسه، فأمره بأن يسير في التبليغ قُدُماً غير مبالٍ بمعارضة من يُعارضه، وأن يجدَّ في التذكير غير عابئ بمن يُكذِّبه.

ويكون ما نفهمه من آية: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴾:

أي: إذا لم تتوصل معهم إلى ما تريد من الإيمان والإذعان، إذا كدت أن تيئس من متابعتهم لك وسيرهم معك إلى معرفة صاحب الجود والإحسان، إذا فرغت منهم ولم تصل إلى مطلوبك، فلا تبتئس بما يعملون ولا تنقطع عن التبليغ والإنذار، بل انصب في دعوتك وجدَّ واستمر في سيرك. ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾

ورغب: بمعنى طلب منه. **وربّك**: أي: مربِّيك ومُمدّك بالحياة، ويكون مانفهمه من الآية، أي: ليكن همّك في دعوتك رضاء خالقك ومربِّيك، فهو وحده قصدك، ورضاه وحده مطلوبك.

النشاط الذاتي:

عليّ أن أتوجّه دوماً بالمحبة والتقدير إلى السِّراج المنير سيدنا رسول الله ﷺ متذكراً فضله في نشر الدعوة، وكم تحمّل في سبيل هداية الخلق وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فإن رحمة رسول الله بنا لا تساويها رحمة الآباء ولا الأمهات.

التوجيه والتطبيق:

قم بزيارة لأحد المساجد في بلدك، واسأل عن تاريخ بنائه، وتأمل كم نحن في عصر بعيد عن عصره ﷺ!. فكم جاهد وتحمّل رسول الله ﷺ حتى وصلت إلينا رسالة الإسلام!. رجل نشأ في أرض مقفرة لا أثر فيها لمعاهد وبين رجال قساة، قلوبهم كالحجارة بسبب عبادة الحجارة (الأصنام)، ثمّ قَلَبَ عقولَهم وأفكارهم فتبدَّلت صفاتهم، وأيّده الله بنصره والفتح المبين، فانتشرت رسالةُ الإسلام والسلام في أرجاء الأرض.



التدريب:

احفظ سورة الشرح من أستاذك جيداً وتعاون أنت وأصدقاؤك وأهلك بالبيت على تسميعها ودراسة ما جاء في تأويل معانيها السامية.

الأسئلة:

1- حين حزن رسول الله ﷺ بسبب معارضة قومه له في مكة، وعدم إصغائهم إليه واهتدائهم بهديه، وأخذ الألم يعتصر قلبه الشريف بماذا ذكّره ربُّه عزَّ وجلّ؟.

2- الوزر.. كما رأينا بدرس التأويل هو الحِمْل... وهذا الحمل الذي كان يحمله رسول الله ﷺ أتعبه كثيراً وأثقل ظهره، فما هو الشيء الذي كان يحمله رسول الله ﷺ وآلمه وأحزنه إلى هذه الدرجة العظيمة؟.

3- قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾. لماذا تكررت الآية مرتين؟.

4- ماذا تستنتج من السورة الكريمة؟.



سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَىٰ (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)﴾

الدرس الثامن عشر

تأويل سورة الضحى

طلابنا الأعزاء: يُريد الله تعالى في هذه السورة الكريمة أن يُبيِّن للإنسان دوام عنايته به، وأن يُعرفه باستمرار رعايته له وعطفه عليه، ولذلك فإنه تعالى بدأ هذه السورة ببيان فضله العالي فيما خلقه لك، وفيما أكرمك به، ثم بيَّن لك أن الذي عُني بك هذه العناية، وأن الذي ساق لك هذه النعمة الكاملة، ما يكون له أن يتركك ويهجرك ولذلك قال تعالى:

﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾

المعنى على التفصيل:

وبعد أن فهمنا مُجمل هذه الآيات، نُفصِّل بعض التفصيل، ونُمهِّد بشيء من الشرح اللغوي، فنقول:

الضُّحَى: هو البيان والظهور، يُقال: ضحا الشيء: إذا انكشف واستبان. والطريق إذا بدا.

وَالضُّحَى: في هذه السورة إنما تشير إلى الظهور والبيان الذي يرافق طلوع الشمس وإشراقها.

فهذه المخلوقات التي تراها على أتمِّ صورة وأكمل حال، هذه الأنظمة التي

يسير عليها الكون دون أن يتسرَّب إليه أي خلل أو نقصان، هذه الدقة في التكوين، هذا الجمال والتنظيم، هذا الخلق التام البديع. وإن شئت فقل: كل ما يظهر ويبدو، وكل ما يمكن أن تراه إذا طلعت عليه الشمس ينطوي تحت كلمة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

أمَّا كلمة: (**الليلِ**): فإنها تشير إلى ما ينبعث عن الليل وما يرافقه من فوائد يتم بها السير والتنظيم، ففي الليل إذا سجى: أي: إذا غطَّى الكون بظلمته تتلطَّف حرارة الجو، ويُخيِّم السكون والهدوء، وفي ذلك ما فيه من معونة على نمو النبات ونضج الثمار، وفي ذلك معونة للإنسان والحيوان على الراحة وتجديد النشاط إلى غير ذلك من الفوائد التي لا يستطيع أن يحصيها الإنسان.

وبناءً على هذا، ومن بعد هذا البيان، لا يمكن وما يكون لهذا الخالق العظيم الذي خلق لك هذا الكون كله وسخَّر لك جميع ما فيه، ما يكون لهذا الخالق الذي عُني بك هذه العناية أن يتركك ويقليك.

إذا كنا لا نتصوَّر أن يبني الإنسان بيتاً حسناً يزيِّنه بأجمل زينة ويُهيِّئه التهيئة التامة ثم ينصرف عنه مُولِّياً ويهجره خالياً، فكيف يتصوَّر أن يُهيِّئ لك ربُّك هذا الكون كله ويسخِّر لك ما فيه جميعاً ثم يذرك وحيداً ويهجرك.

ذلك ما نفهمه من آية: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾: إذ أن **التوديع**: هو الترك، **والقلي**: هو الهجر تقول: قلى فلان فلاناً، أي: هجره وانصرف عنه مولِّياً.

وبعد أن بيَّن تعالى ما بيَّن من فضله عليك فيما خلقه لك في هذه الدنيا أراد أن يبيِّن لك أن ما أعدَّه في الآخرة من النعيم وما هيأه لك فيها من الإكرام أعظم وأبقى، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ فإن أنت أصغيت بأُذنك إلى نصحه وإرشاده تعالى، إذا أنت اتَّبعت أوامر خالقك فزت بالسعادة وأعطاك ربك ما تحب وترضى ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾

وبعد أن عرَّفنا تعالى بأنه ما يكون له أن يتركنا ويهجرنا وقد خلق لنا ما خلق وأكرمنا بما أكرمنا، بل إنه تعالى دائم العناية بنا باسطٌ يده أبداً بالتربية والإمداد علينا، أراد تعالى أن يرجع بنا إلى مرحلة من المراحل التي مرَّ بها كل واحد منا فكان فضل الله علينا فيها ظاهراً بيِّناً، ووضع بين أيدينا من يومنا ذلك حقيقة ملموسة وواقعاً ثابتاً فقال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾

واليتيم: هو الضعيف المنقطع الوحيد المنفرد. والله تعالى في هذه الآية يريد أن يذكِّرنا باليوم الذي كنا فيه في بطون أمهاتنا يوم كان أحدنا يتيماً

أي مخلوقاً ضعيفاً منقطعاً، فليس له من يُعنى به يومئذٍ غير خالقه، وليس له عين ترعاه سوى عين بارئه ومصوِّره، فما أن خرجنا إلى الدنيا حتى آوانا ربنا إلى أمنا وأبينا، وأودع في قلبيهما من الحنان والعطف ومن الرحمة ما جعلهما يُعنيان بنا أكثر ممَّا يُعنيان بذاتهما. أفليس هذا كله من رحمة خالقنا بنا؟.أفليس هذا العطف والحنان المودع في قلبيهما صادراً عن ذلك البحر الذي لا يتناهى من رحمته وعطفه تعالى علينا؟.من الذي آوانا في أحضان أمهاتنا؟.أم من هذا الذي جعل في قلب والدينا تلك الرحمة بنا؟. أليس هو الله ربنا!.

ثم ذكَّرنا سبحانه بمرحلة أخرى من مراحل حياتنا فقال تعالى:

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾

والضال: هو الذي لا يعرف طريقه إلى الشيء. وبالحقيقة لقد خرج أحدنا إلى هذا العالم ضالاً لا يعلم شيئاً. فمن الذي هدانا إلى الرضاع من ثدي أمهاتنا بعد أن قطعوا حبل السرّة الذي كان يأتينا منه الغذاء؟.من الذي أرشدنا إلى أن أفواهنا هي الطريق والواسطة التي نجتذب بها الغذاء الضروري لأجسامنا؟. من الذي أرشدنا إلى معرفة الأشياء خيرها من شرّها ونافعها من ضارّها، وجعل لنا السمع والأبصار

والأفئدة وكنا من قبل لا نعلم شيئاً؟. من الـذي هـدانا إلى الطريـق الـذي نكتسب به معاشنا، ويسَّـر لنا أعمالنا وعلَّمنـا الطريـق إلى اسـتثمار الأرض والاستفادة من خيراتها؟. أليس هو الله صـاحب النعمـة والفضـل، وَمَـنْ نعمهُ لا تُعد ولا تُحصـى!.

وقد أراد تعالى أن يذكِّرنا بمرحلة أخـرى مـن مراحـل فضـله علينـا فقـال سبحانه: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾

والعائل: هو الفقير المحتاج إلى من يعولـه ويرعـاه وينفـق عليـه. وكـذلك كان حالنا يوم كـان أحـدنا وليـداً وطفـلاً، فقـد كنَّا بحاجـة لـمن يعولنـا ويعطف علينا ويقوم بشؤوننا، وما زال تعالى يمدنا بها يمـدنا بـه مـن قـوة ومعرفة يومـاً فيومـاً ومـا زال يهبنـا مـا يهبنـا مـن نمـو وصـحة حتـى بلغنـا أشدَّنا.

فإذا كانت هذه الآيات الكريمة المتتالية تدلّنا عـلى سلسـلة مـن عنايتـه تعـالى بنا. أفليس يجدر بنا أن نطيع أمـره تعـالى، ونعلـم أنـه غنـيٌّ عنـا، وأن أوامـره كلها في خيرنا وسبب في سعادتنا؟. ولذلك ومن بعد أن عرَّفنا تعالى بفضله وعنايته وسابغ نعمته، أراد سبحانه أن يرشدنا إلى الطريق الـذي نجلـب بـه الخير لأنفسنا فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾

واليتيم: كما ذكرنا هو الضعيف المنقطع ومن هو بحاجة إلى المعونة والمساعدة صغيراً كان أو كبيراً، فإذا عُرض لك إنسان بمثل هذا الحال فكن إزاءه إنساناً حقاً وعامله بالإحسان، خُذْ بيده وقم إلى نصرته، وأحسن كما أحسن الله إليك، فإن الله يُحب المحسنين.

قصة واقعية:

وكمثال عملي على تطبيق هذه الآية الكريمة ما فعله العلَّامة محمد أمين شيخو قدّس الله سره حين استقبل أحد المريدين واسمه أحمد..

أهلاً بأحمد.. أهلاً تفضل يا بني واجلس.. وبكل رحمة وعطف دعاه وببشاشة تنبعث من قلبه الرحيم فترتسم على محياه لتبعث الحياة وتروي القلوب الظمأى هكذا استقبل العلامةُ الجليل مريدَه الذي ما زال في السن صبيّاً.

إنه اليوم الأول من العيد.

مالي أراك يا بني على غير عادتك.. تعلو وجهك ملامح الحزن والأسى.. ما الذي جرى، هل تشكو من مُنغّصٍ ؟.

هنالك تنهّد الصبي الطيب وسالت من عينيه دموع البراءة وبصعوبة بادر يشرح الموقف : سيدي.. لست أدري ما أقول إنه منظر ومشهد محزن أثّر في قلبي وآلمني، فبينما أنا في طريقي إليكم يا سيدي رأيت جنازةً كانت خارجةً من أحد بيوت منطقة الجسر الأبيض (منطقة من مناطق دمشق). وكان الناس يسيرون وراءها وتتبعهم من خلفهم طفلةٌ صغيرة تبكي وتصرخ ثم تنادي أباها المتوفَّى قائلةً:

«من الذي سيعطيني العيديَّة[1] يا بابا هذا العيد، يا بابا من سيعطيني عيديتي هذا العيد».

ثم أعادوها إلى البيت.

وبينما تابع أحمد يصف ما رآه وسمعه وحزّ في قلبه وآلمه.. بدأت دموع العلامة الجليل الرّحيم تقطر من عينيه الرحيمتين فتبرق كاللآلئ على وجنتيه الطاهرتين، وشلالات تترى من الرحمة النّورانية تفيض في قلبه الطاهر لتغمر من حوله..، ثم قال :

«كفى يا بني لقد قطعت قلبي عليها حزناً.. بالله عليك كفى.. هيا.. هيا وقُمْ يا بني ودلنّي على البيت الذي خرجت منه الجنازة».

(1) العيدية: مبلغ من المال يُعطى كهديةٍ للصغار في أيام العيد لكي يدخل السرور في قلوبهم.

ومباشـرةً نهض العلامة ذو القلب الرحيم واصطحب أحمد معه وسـارا معاً وما أن وصلا للمكان المحدّد حتى طرق العلّامة الجليل بـاب البيت فخرجت الصغيرة ابنة الرجل الميت ولها مـن العمر ست سنوات، إنها هي ذاتها الطفلة التي كانت تبكي على أبيهـا.. خرجـت مع أخيهـا للبـاب، نظر إليها العلّامة بعيـونٍ تملؤهمـا الرحمة والحنـان وتفيض شـلالات منهما لتسكّن الجروح والأحزان، ثـم أخـرج مـن جيبه كيسـاً حقيقيـاً مـن النقـود وأخذ بيد أخيها وهو أكبر سنّاً منها وناوله كيس النقود وهو يقول: أي بني: خذ هذا وأعطه لأختك وقل لها:

«**لقد أرسل أبوك هذه النقود عيديّة لك**».

وأما قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾

أي إذا عرض لك امرؤ حاجته فكن له عوناً على حاجته فلا تردَّه خائباً.

﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾

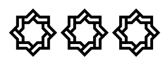
وتحدَّث دوماً عن هذه العناية الإلٓهية التي عنيها بك ربك، حـدِّث نفسـك بها أيها الإنسان فالكون كلـه... شمسـه وقمـره... أرضـه وسـماؤه... بـرُّه وبحره... حيوانه ونباته مُسخَّر لـك، مُـذلَّل لخدمتك، وأنـت المكـرَّم فيـه أكثر من كل مخلوق، وأنت المؤهَّل لنيل كل إحسـان فـإذا حـدَّثت نفسـك

بنعمة ربّك وذكَّرتها بفضله عليك استطعت أن تشكر المنعم، فإن النفوس جُبلت على حُبِّ من أحسن إليها. وإذا شكرت ربك زادك من فضله: ﴿...لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

التوجيه والتطبيق:

ابحث عن يتيم أو عاجز مسنّ في حيّك أو عائلتك وانظر ما هو بحاجة إليه وحاول أن تقدم له المساعدة على قدر استطاعتك.

فإنه لا يقرِّب الإنسانَ عند ربِّه إلَّا سعيه بالأعمال الصالحة فإن وفِّقتَ إلى هذه الأعمال فهنيئاً لك.



التدريب:

احفظ سورة الضحى من أستاذك جيداً وطبق ما جاء فيها بقوة.

الأسئلة :

1- اشرح بعض الفوائد التي جعلها الله تعالى في (**الليل**).

2- إلى ماذا يُشير قوله تعالى في آية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾؟.

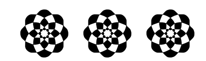
3- بماذا يريد الله تعالى أن يذكِّر الإنسان بقوله الكريم:

(1) سورة إبراهيم: الآية (7).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾؟.

4- بأي شيء مفروض على الإنسان أن يحدِّث نفسه، وبأي شيء يجب أن يذكِّرها دائماً، وما الهدف من ذلك الحديث والتذكير؟.

5- هل اكتفى العلَّامة الجليل بسماع قصة تلك الفتاة اليتيمة من مريده أحمد أم قَرنَ سماع قصّتها بالتصرُّف العمليّ؟. وضِّح هذه الناحية المهمة.





الدرس التاسع عشر

قصّة حِوَاريَّة..

قصة نبي الله أيوب عليه السلام

الأستاذ: عن قريةٍ من القرى السابقة قصَّ الله علينا يا أبنائي قصَّة عظيمة ذات مغزىً وعبرة خالدة، إنها قرية الرسول الكريم سيدنا أيوب عليه السلام، هذه القرية التي مَالَ أهلها إلى الدنيا وتوغَّلوا فيها، فَأَنْسَتْهُم محبَّتُهم لدنياهم دينَ خالقهم الحق، فأعرضوا عن ربِّهم وأصبحوا لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، وفي هذا خسارة كبرى لهم في الدنيا والآخرة.

وتأبى الرحمة الإلَهية الكبرى أن تترك هؤلاء بهذا الضياع وتلك الخسارة فأرسل الله تعالى لهم إنساناً عظيماً ورسولاً رحيماً، ذا مهابةٍ وقدسيَّة، تجلَّى الله عليه وأمره أن يهدي أهل قريته وغيرهم من أهل القرى الأخرى ليأخذ بأيديهم ويخرجهم من الظلمات..ظلمات المكر والغشّ والخداع والفسق والكذب والانحراف.. وكلّ ما هو غير إنساني، يخرجهم منه بإذن ربِّهم ليدخلهم بنور الله فيُسْعدوا في الدنيا قبل الآخرة.

وشمَّر سيدنا أيوب عليه السلام عن ساعد الجدِّ، وهو يعلم ما في طريقه من الصعاب والعقبات عازماً على هدايتهم وتخليصهم من براثن وأنياب الدنيا الفتَّاكة ولو كلَّفه ذلك الأمر روحه وجسده.

بلال: لقد كان سيدنا أيوب عليه السلام بحالٍ عظيمٍ وحرصٍ شديد من أجل هداية قومه.

الأستاذ: هذا حال سيدنا أيوب عليه السلام وحال جميع الأنبياء الكرام في محاولة هداية الناس وتخليصهم من محبة الدنيا الدنيَّة وما سيتلوها من حسرات وآلام ونيران في الآخرة، وبما أن الأنبياء قد شاهدوا وعلموا ما سيكون عليه وضع المعرض يوم القيامة من خزيٍ وعار يتطلَّب المعرضُ لأجله النار تراهم لا يفترون ولا يهدأ لهم بال ولا يرتاحون إلا إذا اهتدى أولئك الضَّالون وعادوا إلى عبادة الله تعالى.

لقد امتلأ قلب سيدنا أيوب بالرحمة والحنان والكمال الإنساني الرفيع الذي اشتَقَّه بصلاته وإقباله على ربه، لذلك اختاره الله لهذه المهمَّة الكبرى واصطفاه لهداية الناس، وبدأ ذلك المشوار الطويل بدعوة القوم وأمله بالله كبير بأن يستجيبوا لهديه وسمّو دلالته على الله تبارك وتعالى.

سامي: وهل استجاب قومه وآمنوا بالله عز وجل؟.

الأستاذ: لقد آمن على يديه الطاهرتين فئة قليلة من قومه الذين كان يسكن بينهم وكذلك آمنت فئة قليلة أيضاً من قريةٍ كانت بجوار قريته، أما الزُّعماء ووجهاء القرية التي كان يسكن فيها فلم يؤمنوا بالله.. بل بقوا مُصِرِّين على دين آبائهم الخاطئ وتعنَّتوا وتصلَّبوا كثيراً برأيهم وكانت الغالبية من الناس تابعة لهم.

بديع: ما سبب كفر وعناد هؤلاء القوم طالما أن سيدنا أيوب عليه السلام قد بيَّن لهم الحقّ.. فلماذا لم يستجيبوا لدلالته وهداه؟.

الأستاذ: سؤال وجيه يا بني.. وقد أوضح لنا تعالى ذلك بكتابه العزيز على لسان سيدنا أيوب عليه السلام حين نادى ربه يشكو له حال قومه، قال تعالى:

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[1].

والمراد بكلمة ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: أصابني منه بسبب ما يوسوس به في نفوس القوم ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ أي: عناء وتعب.

فسيدنا أيوب عليه السلام حين اجتماعه بالقوم يُقِيم لهم البراهين والحجج الدامغة لدعوته إلى الله تعالى.. ويبيِّن لهم بالأدلَّة الواضحة وحدانيَّة الله تعالى ورحمته وعدله وسائر أسمائه الحسنى.. كما يبيِّن لهم حكمة خلق الله لهذا الكون الفسيح وخلق الإنسان فيه، ويبيِّن لهم أيضاً فساد معتقدهم وضلال ما هم فيه من الشرك. فيغدون مقتنعين بكلامه وبيانه المنطقي، لكن بعد مغادرتهم له يأتي الشيطان فيوسوس في نفوسهم ويُثير الشبهات حول دعوته لهم بأن يقول لهم:

(إن أيوب يريد من وراء دعوته وحجَّته القويَّة أن يصبح عليكم سيِّداً أو ملِكاً يتحكَّم بكم كيف يشاء، فهل من المنطقي أن تسلِّموا أنفسكم

(1) سورة ص: الآية (41).

لرجل واحد؟!. وهو الآن يقول لا أريد منكم مالاً ولا أجراً.. ومن يضمن ذلك لكم في المستقبل.. ومن يدري ماذا سيفعل بكم إذا أصبح رئيساً عليكم أو مَلِكاً.. ترى ماذا سيفعل بكم وبأموالكم؟!. إنه يخفي شيئاً وراء دعوته فحذار أن يفتنكم عن دين أبائكم العظماء... إنه رجل واحد لا يمكن أن يكون معه هو وحده الحق وكلّ أبائكم الكرام السابقين وعلمائكم الأولين الأفاضل على خطأ.. مستحيل.. لا صحَّة لما يقوله أبداً).

وهكذا.. يا أبنائي ينقلب القوم من بعد أن أوشك سيدنا أيوب عليه السلام على هدايتهم، ويصغون للشيطان بدل الاستعاذة بالله منه ومن وساوسه المدمِّرة ويعودون للمعارضة والتكذيب.. ولقد أدّى ذلك الحزن والهمّ الكبير الذي أصاب سيدنا أيوب أن يدعو ربه ويشكو له ما به من حزن وحسرة على قومه، قال تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1].

بلال: أستاذنا الفاضل.. لقد فهمت معنى كلمة مسني الشيطان من خلال ما يوسوسه في نفوس القوم وإثارة الشبهات حول دعوة سيدنا أيوب عليه السلام فهل من الممكن أن توَضِّح لنا تأويل هذه الآية يا أستاذنا حيث أنَّني أحب أن أفهم معنى كلمة الضُّر الذي ألَمَّ بسيدنا أيوب عليه السلام؟.

(1) سورة الأنبياء: الآية (83).

الأستاذ: حباً وكرامة يا بني..

إن معنى كلمة الضُّرِّ هو الضيق والألم الذي كان يجده سيدنا أيوب ﷺ بنفسه على قومه، ولقد دعا ربَّه وخاطبه متوسلاً راجياً أن يكشف عنه هذا الضيق والألم الذي يعتصر قلبه الرحيم من معارضة القوم، بأن يهديهم على يديه.. فبهداهم خلاص لنفسه الشريفة وشفاء لها من هذه الحسرات والآلام، وهو يعلم أن الله به وبهم أرحم الراحمين.

سامي: ولماذا هذه الآلام والأحزان في قلبه الشريف طالما أنهم هم الذين لا يريدون الهداية؟!.

الأستاذ: يا بني: إن قلب سيدنا أيوب ﷺ كلّه رحمة وعطف وحنان على قومه، وإنَّ مَثَلَه كمثل أبٍ رحيمٍ أُصيب ابنه بمرضٍ عُضالٍ وأليم، وكاد هذا المرض أن يفتك به ويهلكه، فكم يا ترى يكون ألم هذا الأب وحزنه كلما شاهد ابنه المريض؟ لا شكّ أنَّ ألمه يكون كبيراً وحزنه عظيماً.. وهكذا كان حال سيدنا أيوب عليه السلام بل أكثر رحمةً وأشدّ حناناً من الأب بابنه وخاصَّة وهو يعلم أن قومه عندهم قابلية كبرى للشفاء من محبة الدنيا والخلاص من النار يوم القيامة، أفيمكن بالحالة هذه أن يهدأ له بالٌ أو يرفّ له جفنٌ دون أن يهديهم وينقذهم؟.

سامي: الآن أستطيع أن أفهم قوله تعالى:

﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

فسيدنا أيوب عليه السلام بما في قلبه من حب وحنان على قومه صَعُبَ عليه أن يراهم بهذا الإعراض وتلك الأعمال السيِّئة، وهم إن ظلوا على ذلك فمصيرهم إلى النار وقد خسروا الجنَّات الأبديَّة التي أعدَّها الله تعالى لهم.. لذلك كان حزنه عميقاً وألمه كبيراً وضيقه شديداً..فاشتكى إلى الله الرحمن الرحيم ليكشف له طريق هدايتهم.

الأستاذ: بوركت فهماً يا سامي.. فالأنبياء الكرام أرحم بالناس من الأم والأب بولدهما، وما تلك الرحمة إلا بسبب صلاتهم وإقبالهم على الله تعالى لذلك هم جديرون بأن يصطفيهم ربهم ويجعلهم هادين لعباده، فبالرغم من تلك المعارضة الشديدة التي أبداها قومه وبالرغم من ذلك الزمن الطويل الذي أقام به سيدنا أيوب عليه السلام يدعو فيه يمتدحه القرآن الكريم بأنه كان صابراً لا ييأس أبداً من محاولة هداية الناس.. ولقد أثمرت مساعيه الكريمة وإصراره وطلبه من الله تعالى وكللت بالنجاح، وأدت بالنهاية إلى هدايتهم وإنقاذهم من الشقاء والنار، واستجاب له الله عز وجل إنه هو السميع المجيب.

بديع: وكيف استجاب الله لنداء رسوله؟.. أقصد ما الطريقة التي سلكها حتى هداهم... وهو عليه السلام قد بين لهم سابقاً كل شيء ولم يؤمنوا؟.

الأستاذ: نعم.. بين لهم كل شيء ولم يترك أمراً إلا وأوضحه لهم، لقد

رأى الجميع أعماله العظيمة بينهم، وشاهدوا أفعاله وخصاله الحميدة وغمرهم بلطفه وعطفه، ثم سمعوا بيانه المعجز الدال على الله ولكنهم تكبروا وأصغوا للشيطان، لذلك جاءه من الله تدبير جديد وأسلوب مختلف لمعاملة هؤلاء الجُهال الضالين، وهذا التدبير الذي اختاره الله لرسوله أيوب عليه السلام هو الهجرة من بلده إلى بلد مجاور !.

بلال: ماذا يا أستاذنا.. الهجرة..يا الله تقصد مثل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟.

الأستاذ: نعم.. إنها الهجرة.

بديع: هل لي أن أقول شيئاً يا أستاذي؟.

الأستاذ: تفضل يا بني إنني أستمع إليك بكل حب.

بديع: شكراً يا أستاذنا... إنني لشدة حبي لسيدنا أيوب عليه السلام بهذه القصة المباركة وبما يمتدحه القرآن الكريم لهذا الرسول الرحيم، وبعد أن سمعت منكم كلمة الهجرة التي تشبه هجرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.. هام قلبي بالله تعالى الذي أرسله.. كم هو برسوله وبالناس لرؤوف رحيم لذا أحب أن أسبقك بالاستنتاج قبل أن تكمل.

الأستاذ: إن هذا يسعد قلبي.. تفضل فكلنا آذان صاغية.

بديع: أمر سيدنا أيوب عليه السلام كل من آمن به من قومه بالهجرة إلى قرية فيها أناس كانوا قد آمنوا به أيضاً.. تماماً كالمهاجرين من أهل مكة والأنصار من أهل المدينة.. وهكذا تكوَّن عند سيدنا أيوب عليه السلام عدد لا

بأس به من المؤمنين وأصبحوا يشكلون قوة يُحسب لـها حساب.

الأستاذ: بالتمام يا بديع.. وهذا ما حصل بالفعل، ثم هاجر هو عليه السلام بأمر من الله عز وجل ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾[1].

أي: اخرج من بلدك الذي أنت فيه، والذي لاقيت ما لاقيت فيه من الضيق المعنوي بسبب المعارضات، إلى بلد آخر قريب، فيه مغتسل باردٌ وشراب.

فأهل مكة وكبراؤها عارضوا رسول ربهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان من المستحيل هدايتهم على ما هم فيه، أمر تعالى رسوله بالـهجرة إلى المدينة المنورة مع المؤمنين المكيين، وهناك ومع من آمن من المدينة وغيرهم كوّن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أثارت حنق قريش وغيظها التي ما لبثت تريد القضاء على هذه الدولة الناشئة في مهدها، مما اضطر الرسول عليه الصلاة والسلام لضربهم وتأديبهم وإلحاق الـهزائم بهم حتى انكسرت شوكتهم وهمد كبرهم وتعنتهم، فتمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هدايتهم.. ورحمهم وصفح عن كل ماضيهم. وهذا ما حصل بالضبط لسيدنا أيوب الرحيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2].

فكلمة: ﴿ أَهْلَهُۥ ﴾ أي: الـذين آمنوا به من قومه في قريته، وكلمة:

(1) سورة ص: الآية (42).

(2) سورة ص: الآية (43).

﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ أي: من القرية الأخرى آمن أناس مثلهم وبعددهم ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ أي: رحمة برسولنا أيوب لكي نخلصه من هذا الضيق الذي ألم به هديناه لهذه الخطة بهذه الهجرة المباركة التي عادت بالخير العميم عليه وعلى قومه فيما بعد.

بلال: وهل أشار القرآن الكريم إلى الطريقة التي ذكرتها سابقاً يا أستاذنا من الصدام الذي حصل بينه وبين كفار قومه؟.

الأستاذ: نعم يا بني: لقد فصَّل لنا تعالى كيف اهتدى أولئك المعارضون من جراء تلك المعارك التي جرت بينهما، قال تبارك وتعالى:

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ .. ﴾[1].

والضغث معناه: (كل ما اختلط واجتمعت أفراده في أصل واحد رغم اختلافها... وهو أيضاً كل مجموع مقبوض عليه بجمع الكف باليد) إذاً: الضغث هنا تعني الجماعة المختلطة من أصحاب سيدنا أيوب عليه السلام الذين هاجروا معه والأصحاب الذين هاجروا إليهم، تماماً مثل ما ذكرنا في سيرة المهاجرين والأنصار. اجتمعوا كلهم على الإيمان بالله رغم اختلاف مساكنهم وأنسابهم وأصبحوا كلهم أخوة في الله بيد سيدنا أيوب الصابر الرحيم وتحت قيادته المباركة.. فأمر الله بأن يضرب بهم أهل قريته المعاندين ﴿ فَاضْرِب بِّهِۦ ﴾ حقاً لقد أدَّبهم وأفشل كل اعتداءاتهم

(1) سورة ص: الآية (44).

رحمة بهم كي يهتدوا ويقلعوا عن كفرهم ويتوبوا إلى ربهم.

سامي: وهل كان أهل قريته يقاومون كما قاومت قريش رسول الله ﷺ؟.

الأستاذ: طبعاً يا بني... لقد قاوموا بالبداية بشراسة، وجيَّشوا للقائه الجيوش وهدفهم القضاء عليه وعلى أصحابه الكرام.. لذا أمر الله رسوله سيدنا أيوب عليه السلام بضربهم بقوة بقوله الكريم. ﴿..**فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ**..﴾ وكلمة ﴿**وَلَا تَحْنَثْ**﴾ تدل على قوة العدو التي هيأها له قومه لصدِّه ومحاربته، ولا تحنث أي: لا تتراجع عن المضي في دعوتك وكن صابراً عند لقاء عدوك وأنا مؤيدك وناصرك عليهم وأجعل هدايتهم بعد تأديبهم، فكان عليه السلام كما أمره ربه: ﴿...**إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**﴾.

لقد جاءته النعمة منا وأكرمناه ذلك الإكرام لصبره عليهم ولأنه أواب.. وهذا معنى اسمه الشريف أيوب: أي أواب.. دائم الرجوع إلى الله بكل أموره.

لقد رأينا بقصة سيدنا أيوب عليه السلام الرحمة ورأينا الصبر على الهداية.. صبر لا يستطيع أياً كان أن يحمله ويتحمله إلا من امتلأ قلبه بالحنان والعطف على العباد.. فمراد الله من قصة سيدنا أيوب عليه السلام أن نعظم الرسل الكرام ونقدرهم وتميل قلوبنا بالمحبة تجاههم، فهم أهل الحق، أهل الفضيلة والكمال ومفاتيح الخير، وكذلك مراده تعالى من هذه

القصة أيضاً أن نصبر على الدعوة إلى الله تعالى أسوةً بسيدنا أيوب عليه السلام، والله ناظر وقريب ولن يضيع أجر من أحسن عملاً.





الأسئلة والتدريبات:

1- لماذا اختار الله سيدنا أيوب عليه السلام لـهداية الناس؟.

2- مـا معنـى قـول سـيدنا أيـوب عليه السلام ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾؟.

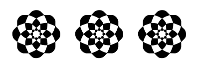
3- كيف فرَّج الله تعالى عن رسوله سيدنا أيوب عليه السلام الـهم والضيق الذي كان يجده بسبب معارضة قومه وكفرهم؟.

4- أمر الله رسوله سيدنا أيـوب عليه السلام قـائلاً : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾؟. مـا هو الضغث وكيف يأخذه بيده؟.

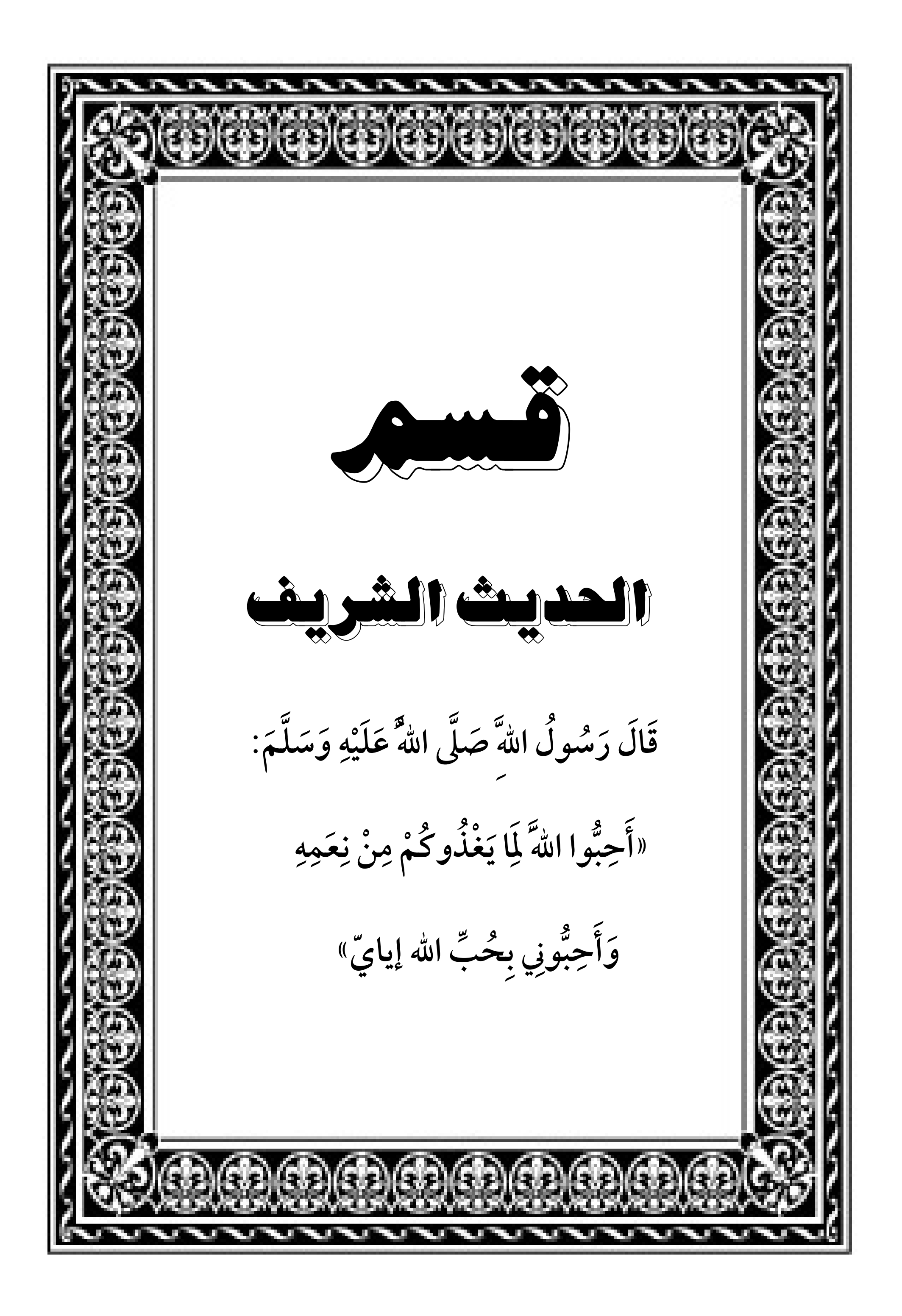
5- بـماذا أمـر الله سـيدنا أيـوب عليه السلام أن يعامـل قومـه الـذين أعلنـوا الحرب عليه وعلى أصحابه؟.

6- لـماذا امتـدح الله سـيدنا أيـوب بالصـبر.. ومـا هـو معنـى اسـمه الشـريف (**أيوب**) عليه السلام ؟.

7- ما هو مراد الله تعالى من قصّة سيدنا أيوب عليه السلام ؟




لا إله إلا الله محمد رسول الله



قسم

الحديث الشريف

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ

وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ الله إِيايّ»

الدرس العشرون

طريق الإيمـان بالله تعالى

قال رسول الله ﷺ:

«اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»[1].

شرح ألفاظ الحديث الشريف:

بَارِكْ: زد من الخير المتتالي والمتزايد باستمرار.

لِأُمَّتِي: أمتي مأخوذة من أمَّ و يؤمُّ: وهو التحلق حوله والاتباع له، ومنها الأم حيث يؤم إليها صغارها ويجتمون حولها، وعلى هذا فكل من يتبع رسول الله ﷺ فهو من أمته. أي: يؤم له ﷺ. فهو النبي الأمي الذي يؤم جميع الأنبياء والمؤمنين.

بُكُورِهَا: من التبكير وهو الشيء الذي يكون في بدايته. يقال في النهار الباكر، أي: من أول النهار أو بداية النهار.

شرح الحديث الشريف:

يدعو الرسول ﷺ ربه بأن يجعل الخير المتزايد والمتتالي على من يسلك طريق الإيمان منذ بداية شبابه، وقد كان معظم أصحابه ﷺ شباناً في مقتبل العمر.

---

(1) مسند الإمام أحمد..

أما الذين ساروا فيما بعد فإنهم لم يسابِقوا.

فالذي يسير بالحق ويتبع الرسول ﷺ منذ أول شبابه فهذا سينال الخير العميم ويكون كأمثال الصحابة الأجلاء الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها.

فكيف يكون الطريق للسير والاقتداء برسول الله ﷺ ؟.

أعزائي الطلاب: الإنسان ومنذ كونه طفلاً صغيراً بالسن يبدأ بالتساؤل: لماذا تلمع النجوم؟. ومن أين تجيء الغيوم؟. وأين تذهب الشمس في المساء؟. من يحمل القمر؟. من أين أتيت أنا لهذا الوجود؟. من الذي جاء بي إلى هذه الحياة؟. ما هذا الليل والنهار ؟. وقد يصل به الأمر فيسأل عن الله تعالى فيقول: أين الله..؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي يريد أن يتعرف منها إلى هذا الكون، لا بل إلى موجد هذا الكون ومبدع ما فيه.

تُرى من الذي يلقِّن هذه الأسئلة للطفل، أم من الذي يوجهها إليه؟.

لا ريب أن هناك صوتاً خفياً ينبض في قرارة نفسه بين الحين والحين، ولا بد أنكم سمعتم هذا النداء وتلك الأسئلة المهمة في سني عمركم الماضية ولا زلتم، فهل تعلمون من يسألكم ويحرِّض منذ الصغر كوامن تفكيركم؟.

إنه صوت ملَكٍ من الملائكة الكرام، إنه ملك الإلهام، يرسله الله تعالى إلى هذا الصغير يناديه في سرِّه لتحل النفس هذه المشاكل الجديدة، وتطرح هذه الأسئلة على الفكر، ذلك الجهاز الذي أودعه الله تعالى في الإنسان، لتصل النفس بواسطته إلى معرفة الحقائق، وتتعرَّف إلى كل ما يحيط بها فتدركه وتعقله، وهنالك تطمئن بما وصلت إليه عن طريقه من علم وترتاح إليه. وبمثل هذه الأسئلة التي يلقيها الملك في نفس ذلك الطفل تبدأ دواليب هذا الجهاز بالعمل، وتأخذ خلاياه بالنمو وأجزاؤه بالتكامل يوماً إثر يوم وعاماً بعد عام ولا يزال كذلك آخذاً بالنمو حتى يصل هذا الطفل إلى سن الرشد حيث النضج وحيث القدرة التامة على الوصول إلى الحقيقة ومعرفة الخالق المبدع والرب الممد.

وتتوافق هذه الأسئلة مع ما يبينه تعالى لنا في سور جزء عمّ وغيرها من السور الكريمة، ولفت تفكيرنا للنظر بهذا الكون، فالإنسان كائن مفكر.

سيدنا إبراهيم عليه السلام منذ طفولته كان يفكر.. وفي أول شبابه فكر بجسمه ونظر بالكوكب والقمر والشمس فاهتدى إلى الله تعالى.

كذلك سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان دائب التفكير.. نظر وفكر بالكون ولأجل ذلك كان يذهب إلى غار حراء في جبل النور بمكة.

الصحابة الكرام أيضاً منذ بدايتهم فكروا وآمنوا.

كذلك أصحاب الكهف كانوا فتياناً في بداية شبابهم فكروا واهتدوا.

العلاَّمة محمد أمين شيخو قدّس الله سره كان يفكر بكل شيء من حوله، وقد رأيتم بقصصه الخالدة كيف كان يتصدر كل شيء بفكره[1]، وهو الذي يدلك الآن على طريق الإيمان.

النظر بالكون والتفكير به فرض من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ **قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ** ﴾[2]

وكلما بدأ الإنسان بالتفكير والبحث من سن مبكرة.. كان وصوله أسرع وأعماله أعظم.

«العلم بالصغر كالنقش على الحجر».

خطوات طريق الإيمان:

عزيزي الطالب: أول ما يجب أن يبدأ به الإنسان أن ينظر في نفسه ويتفكَّر في ذاته، ممَّ خُلق.. وكيف تكوَّن في بطن أمه حتى صار إنساناً سوياً.. وعليه أن يتابع بفكره الأطوار التي تنقَّل فيها، والمراحل التي مرَّ عليها،

---

(1) لطفاً انظر كتاب (صفحات من المجد الخالد) وفيه بعض من أعمال العلاَّمة الإنساني محمد أمين شيخو ولاحظ كيف أنه لا يترك تفكيره في كل أعماله وأحواله ولا أقل من لحظة.

(2) سورة يونس: الآية (101).

فمن نطفة إلى علقة، ومن علقة إلى مضغة، ومن مضغة إلى إنسان سويٍّ كامل الهيئة تام التركيب، يحار الفكر في كمال صنعه، ويقف حائراً أمام عظمة كل جهاز من أجهزته، وحاسة من حواسِّه ولا يسعه إلا أن يخرَّ ساجداً لعظمة تلك اليد التي عملت على تكوينه وإحكام صنعه.

فإذا ما نظر في نفسه هذه النظرات حين كان جنيناً وأتبعها بنظرات أخرى تدور حول أيام طفولته الأولى مولوداً صغيراً، يوم كان يأتيه الغذاء من ثدي أمه لبناً سائغاً كامل التركيب كافي المقدار منظم المعايير متوافقاً في نسبته الغذائية مع تدرجه في النمو يوماً بعد يوم بحسب ما يتطلبه جسمه ويحتاج إليه. أقول: إذا نظر الإنسان في نفسه هذه النظرات، وفكَّر هذا التفكير وتابع ذلك وتوسَّع فيه لا شك أن تفكيره هذا يرشده ويهديه إلى أن هناك يداً عظيمة صنعته وخلقته وعنيت بتربيته منذ أن تشكل وخرج إلى هذا الوجود وهي لا تزال مستمرة في العناية به قائمة بالتربية عليه. إن هذه النظرات في البداية وفي أصل التكوين لها أثرها لا بل عليها يتوقف الإيمان بالمربي. ومن لم ينظر هذه النظرات في أصله، ومن لم يتعرَّف إلى بدايته فما هو من الإيمان الصحيح اليقيني بربه في شيء.

قال تعالى معرِّفاً إيانا بطريق الاستدلال على معرفة المربي بما أشارت إليه

الآيات الكريمة في سورة الطارق:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾[1].

وفي قوله تعالى بسورة المؤمنون:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[2].

أما وقد عرف الإنسان خالقه ومربيه وتبدَّت له عظمة ربّه فلا شكَّ أن ذلك يقوده إلى التوسُّع في التفكير، وينتقل به إلى النظر في نهايته كما نظر في بدايته فيتساءل في نفسه ما بال فلان قد قضى نحبه؟. وما بال فلان لم يطل به أمد الحياة؟. وأين فلان وفلان وما بقي لهؤلاء الذين فارقوا هذه الحياة من العزّ والسلطان؟. وأين هم من متع الحياة وشهواتها وجميع ما فيها من ملذَّات؟. وإذا كان الموت نهاية كل إنسان ومصيره المحتوم، وإذا

(1) سورة الطارق: الآية (5-7).

(2) سورة ا ؤمنون: الآية (12-14).

كانت مساعي الإنسان جميعها تصل به إلى هذه النهاية مهما امتد به العمر وطال، فما في الحياة من أمل، والخاسر هو الذي يسترسل فيها دون أن يتعرَّف فيها إلى ما ورائها.

وهنا وبمثل هذا التفكير في النهاية، والمصير إلى القبر وما فيه من رهبة ووحشة تخاف النفس وتلتجئ إلى الفكر وتصدق في طلب معرفة الحقيقة. فلِمَ جاء الإنسان إلى هذا الوجود؟ وما هذه اليد التي خلقته وأرسلته إلى هذه الدنيا ثم كتبت عليه الموت ومفارقة الحياة؟!. وينشد الإنسان هذا النوع الجديد من المعرفة ناظراً في أصله حينما كان نطفة فيقول: هذه النطفة التي أنا منها، منها خلقت وتكونت، إن هي إلا خلاصة ألوان شتى من أطعمة وفواكه وأثمار تجمّعت هذه الخلاصات ومنها خُلقت، فمن أين جاءت هذه الأطعمة؟. ومن الذي خلق هذه الفواكه والخضر والألوان؟. وما هذه البذور المختلفة؟. ومن أين جاءت؟. ومن الذي ألقى بها على سطح الأرض؟. ما هذه التربة التي اشتملت عليها؟. وكيف تكوَّنت؟. ما هذه الأنهار؟. ما هذه الأمطار؟. ما هذه الشمس؟. ما هذا الليل والنهار؟. ما هذا السير الدائم؟. ما هذه الحركة المستمرة المنتظمة في هذا الكون؟. ما هذه الدورات المنظمات؟.

بل ما هذه اليد التي تدير هذا كله لتتأمن حياتي ولتتوفر أقواتي ويستمر وجودي؟. أليس هذا الكون كله وحدة مترابطة الأجزاء متماسكة الأجرام؟. أليس ذلك كله يعمل ضمن قانون ونظام؟. أما لهذا الكون من يديره!. وقدرة عليا مهيمنة تشرف على ملكوت السموات والأرض ولا يعزب عنها مثقال ذرة!. وهنا ينتقل هذا الإنسان إلى هذه النقطة الجديدة فتعقل النفس عظمة هذه الإرادة العليا، والقدرة التي لا حدَّ لها والتي نظَّمت الكون بما فيه عُلْويّهُ وسفليّهُ، جليلهُ وحقيرهُ، صغيرهُ وكبيرهُ، تدرك النفس طرفاً من عظمة الله تعالى وتعرف أنه لا مسيّر غيره ولا متصرف في هذا الكون إلا الله، إنها تدرك حقيقة كلمة (**لا إلـه إلا الله**) فتعلم أن التصرُّف بيده وحده وليس لأحد من حول ولا قوة إلا به، وليس من حركة إلا بإمداده ومن بعد إذنه.. فلا تهب رياح ولا تتراكم غيوم ولا تهطل أمطار، ولا تشرق شمس ولا تدور أرض ولا يتعاقب ليل ونهار، ولا تدب دابّة، ولا تنبت نبتة، ولا تنعقد ثمرة، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه تعالى ومن بعد إذنه. ويتسع أفق التفكير لدى هذا الإنسان فيرى أن اليد لا تتحرك حركة وأن القدم لا تنطلق خطوة، والعين لا تطرف طرفة، والأذن لا تسمع همسة، واللسان لا ينطق ويلفظ

كلمة إلاَّ بإذن الله وبحول وقوة منه. يدرك هذا الإنسان ذلك كله عندها تدخل النفس في حصن الاستقامة فتجد أن الله تعالى معها ومشرف عليها، بل هو الممدُّ لها في كل لحظة وحين، لا يحول ولا يزول، فحيثما حلَّ هذا الإنسان وارتحل، وأينما سار وانتقل، وكيفما نظر وأنَّى اتَّجه، يرى الله تعالى معه، وأنه شاهد عليه، فهو سبحانه ناظر رقيب وسامع قريب، وبه قيام وجود الكون بجميع ما فيه، وهو أقرب إلى الإنسان من نفسه التي بين جنبيه.

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[1].

هذه هي المرحلة التي يفضي إليها الإنسان، وهذه هي الحقيقة التي يعثر عليها من بعد تفكيره المتواصل، يعقلها عقلاً، ويصبح إيمانه بكلمة (**لا إلَه إلا الله**) مبنياً على علم كما أمر سبحانه وتعالى بذلك، إذ قال:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ .. ﴾[2]. وهذا النوع من الإيمان هو المطلوب من

(1) سورة ق: الآية (16).

(2) سورة محمد: الآية (19).

كل إنسان، وذلك هو الإيمان الحق الذي يحجز الإنسان عن المعاصي والموبقات.

قال تعالى: ﴿ ..**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ** .. ﴾[1].

وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله الشريف: «**من قال لا إلـه إلا الله مخلصاً دخل الجنة، قيل: وما إخلاصها؟. قال أن تحجُزَهُ عن محارم الله**»[2].

أما وقد أصبح هذا الإنسان في حال يشهد معه أن الله تعالى ناظر رقيب ومشرف قريب لذلك تراه يستقيم على أمر الله فلا يخالف أوامر ربه في شيء. فالعين لا تنظر واللسان لا ينطق واليد لا تتحرك والرِّجل لا تخطو إلا ضمن ما أمر به الله، فيصبح هذا الإنسان المؤمن من أمة رسول الله ﷺ حقاً وتصبح البركة على يديه لأنه قام وسعى للإيمان بربه منذ بداية عمره، فكان الخير المتتالي المتزايد يتحقق على يديه بأعمال إنسانية عليا تجعله يرفل بالجنان.

---

(1) سورة فاطر: الآية (28).

(2) رواه الط ا الأوسط الكب .

الأسئلة والتدريبات:

1- لمن دعا الرسول ﷺ ربه أن يجعل له الخير المتزايد والمتتالي؟ وما نتاج ذلك عليه؟

2- قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ** ﴾[1] اشرح الآية الكريمة.

3- ما معنى كلمة (**لا إلَه إلا الله**)؟.

4- قال تعالى: ﴿ **قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾[2].

اشرح الآية الكريمة من خلال ما تعلمته في الدروس السابقة.

5- اشرح الحديث الشريف: «**من قال لا إلَه إلا الله مخلصاً دخل الجنة قيل: وما إخلاصها؟. قال أن تحجُزَهُ عن محارم الله**».

6- عدِّد خطوات طريق الإيمان بالله تعالى باختصار.

7- اكتب موضوعاً تتحدَّث فيه عن أهم النتائج التي يكتسبها الإنسان من بعد إيمانه بالله تعالى؟.



(1) سورة الروم الآية: (20).

(2) سورة يونس: الآية (101).

الدرس الحادي والعشرون

لا تكن الخامسة فتهلك.

الجزء الأول:

قال رسول الله ﷺ :

«كن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك»[1].

شرح ألفاظ الحديث الشريف:

كلمة: (**كن**) هي: أمر من رسول الله ﷺ للإنسان.

(**عالماً**): وكلمة عالماً من العلم، والعلم هو المشاهدة، قال الله تعالى:

﴿**إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ**﴾[2].

أي: إن الله تعالى مشاهد ما في الصدور «وهي النفوس» ومطلع عليها.

(**متعلماً**): هو الذي يسلك طريق الرسول ﷺ، ليصبح في النهاية عالماً.

(**مستمعاً**): الاستماع هنا هو الإصغاء لكلام الله تعالى بالتفكير.

(**محباً**): الحب هو ميل القلب، وميل القلب يكون لله والرسول وأهل الحق.

---

(1) المعجم الأوسط للطبراني.

(2) سورة المائدة: الآية (7).

(ولا تكن الخامسة): الخامسة هنا كل شيء غير الأوامر الأربعة السابقة.

(فتهلك) الهلاك: هو الخسارة.

شرح الحديث الشريف:

يريد رسول الله ﷺ أن يسمو بالإنسان فأرشده إلى أعظم شيء ينال فيه رضاء الله تبارك وتعالى، وهو أن يكون عالماً، والعالم كما رأينا بشرح الألفاظ هو المشاهد البصير، وهذا الإنسان المشاهد والبصير هو المرتبط برسول الله ﷺ، فهذه المشاهدة تجعل الإنسان عارفاً بالله تعالى، وعالماً بأسمائه الحسنى.

العالم البصير يرى بنور الله تعالى الأشياء المؤذية فينفر منها، كما أنه يرى بنور الله الأشياء الخيِّرة فيقبل عليها.

المثال الأول:

لنقم الآن بتجربة عملية بسيطة يقوم بها الأستاذ الفاضل مع بعض التلاميذ.

ليضع الأستاذ على الأرض بعض الأشياء، مثلاً بعض الطباشير أو الكؤوس أو أي شيء يريده الأستاذ، ليضعها على الأرض بطريقة مبعثرة، ثم يضع عصابة (غطاء) على عيني أحد الطلاب، ويطلب منه أن

يسير بين الأشياء الموجودة على الأرض محاولاً أن لا يصدم أي شيء مما وضع على الأرض.

بعد أن ينفذ الطالب هذه العملية نكررها مع من يريد من الطلاب، سنرى أن الطالب المعصوب العينين سيصدم ويدوس فوق الأشياء الموضوعة على الأرض مهما حاول تفاديها والابتعاد عنها، ثم هو لا يعرف الجهة التي يجب عليه أن يسير بها بل تجده تائهاً.

بعد ذلك يعود الأستاذ الفاضل بوضع الأشياء مجدداً على الأرض ويطلب من الطلاب الذين قاموا بالتجربة الأولى أن يكرروها ولكن هذه المرة لا يغطي لهم أعينهم.

سنرى أن الطلاب يمرون من فوق الأشياء ويتفادون صدامها وأنهم يعرفون الجهة التي يسيرون بها.

بهذا المثال العملي البسيط نستطيع أن نفهم لماذا يأمرنا رسول الله ﷺ أن نكون عالمين، أي بصيرين.

فالإنسان البصير المهتدي بنور الله يسير في هذه الدنيا من غير أن يقع بأشياء تؤذيه أو تضره، بل يعمل كل ما يجلب له الخير والسعادة.

أما إذا ظل على عماه ولم تفتح بصيرته بنور الله فإنه يقترف الأشياء المؤذية

التي تجعله تعيساً منكداً، وما جلب له ذلك إلا عماه وضلاله.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1].

وتذكر عزيزي الطالب الدروس التي أخذتها بتأويل جزء عمّ خاصة عند درس تأويل سورة القدر، وكيف يحصل العلم ويغدو الإنسان بصيراً في تلك الليلة المباركة، وكذلك في درس تأويل سورة التكاثر عند قوله تعالى:

﴿ **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** ﴾.

واليقين: هو ثبوت الأمر واستقراره في النفس: **والعلم**: هو الرؤية والمشاهدة، وهذه الرؤية على نوعين:

1- **رؤية ترى بها النفس صورَ الأشياء.**

2- **رؤية ترى بها حقائق الأشياء، أي: ما فيها من الشرِّ والخير.**

فأما **رؤية صور الأشياء،** فهذا يكون بواسطة العين.

وأما **رؤية الحقيقة،** فإنما هي إدراك النفس بذاتها ما في الأشياء من الشرِّ والخير وهذا العلم المبني على هذا النوع من الرؤية هو: علم اليقين، ولكن كيف تستطيع النفس أن تدرك ما في الأشياء من الشرِّ أو الخير؟.

(1) سورة الأنعام: الآية (50).

هذا الإدراك لا يكون إلاَّ إذا أقبلت النفس على ربِّها، وهذا الإقبال لا يكون إلا بالصلاة، تلك الصلاة التي تجتمع فيها النفس بكلِّيتها مقبلة على ربِّها وذلك يكون بواسطة الشفيع الأعظم عليه الصلاة والسلام، وبهذا الجمع والإقبال تستنير بنور الله، ذلك النور الذي يكشف لها الحقائق المستكنَّة وراء الصور والظواهر. فالمدارُ إذاً كله على الصلاة، وعلم اليقين لا يكون إلا بالصلاة، وما الخلاص من الشرور إلا بالصلاة، قال تعالى:

﴿..إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ..﴾[1].

ونريد الآن أن نضرب مثلاً نميِّز به العلم الظاهر عن العلم بحقيقة الشيء فنقول: السمكة بعينها الظاهرة لا ترى إلا قطعة اللحم التي رماها لها الصياد في صنارة الشصِّ، ولو كان لها بصيرة ونور نافذ قوي لرأت الشوكة التي انطوت عليها قطعة اللحم، ولشاهدت الموت المستكن وراء الطعم، وهنالك تعاف قطعة اللحم فلا ترغب فيها ولا تميل إليها.

ولو أن الكلب كان ذا بصرٍ نافذ لرأى السمَّ الذي يدسُّ له أحياناً في

(1) سورة العنكبوت: الآية (45).

قطعة اللحم، ولشاهد ما يتبع تناوله لها من الآلام التي تنتهي به حتماً إلى الموت.

وكذلك الإنسان إذا أصبح ذا بصيرة، وإن شئت فقل ذا نفسٍ مستنيرة بنور الله فعندها يرى حقائق الأشياء ولا تعود تغرُّه الشهوات الدنيا، أي: الدنيئة، أي: إنه يرى ما فيها من المضارِّ، وما تنطوي عليه من النار.

المثال الثاني:

ليحمل الأستاذ بيده شيئاً.. مثلاً ليحمل قلماً، ويقول لأحد التلاميذ في الصف الدراسي، ما هذا الشيء الذي بيدي؟. سيجيبه الطالب بأنه قلم. وهذا صحيح.. فلو جاء أحدٌ وقال للطالب هذا ليس قلماً، فلن يصدقه أبداً لماذا؟. لأنه رأى القلم بعينيه، وهذا ما يسمَّى اليقين.

وكذلك ليغمض الطالب عينيه ويسأله الأستاذ عن شيء موجود بيده لم يشاهده الطالب سابقاً ولا يعرفه، فإن الطالب سيجيب بتكهنات واحتمالات، وتلك الإجابات ليست يقينية بل كلها ظنون.. وإن جاء أحد وقال له غير الذي كان يظنه فإن الطالب سيصدقه، لماذا؟ لأنه لم ير بعينيه ذلك الشيء بل كان يظنه ظناً.

وهكذا الإيمان بالله تعالى ووصول الإنسان إليه، فالمؤمن البصير لو جاء

أحد وقال له عن الله تعالى أموراً تخالف الرحمة والعدل أو الحنان والعطف الإلهي فلن يصدقه، لماذا؟ لأنه رأى بعين قلبه هذا الحق وشاهد الرحمة الإلهية عياناً.

أما إذا كان مصدقاً فقط، يعني: يُقلِّد أباه وأمه والمجتمع الذي يعيش فيه وهو لم يرَ بنفسه ولم يشاهد بنور الله تعالى، وجاءه أحد وكلمه بغير طريق الحق فستجد ذلك الإنسان يتحير وربما ينقلب عن تصديقه، وكل ذلك سببه أنه لم يسعَ ليرى بنور الله فيغدو عالماً مشاهداً.

فالأعمى لا يستطيع أن يفرق بين ملمس السمكة وبين ملمس الأفعى.

كذلك الإنسان إذا لم يكن بصيراً يرى بنور الله تعالى فإنه يقترب من أشياء يظنها حسنة وإذ بها السم القاتل وربما تودي بحياته.

كثيرة هي الآيات الكريمة التي تأمرنا بالوصول لنور الله تعالى لنفرق بين الحق والباطل وبين الطيب والخبيث.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1].

وكلمة: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: انظروا بنور الله، إذا أقبلت النفس هي بذاتها

(1) سورة الحديد: الآية (28).

على الله تعالى تفتحت بصيرتها وشفيت من أمراضها وعللها والتي هي حب الدنيا. فحب الدنيا رأس كل خطيئة.

(والتقوى) معناها اللغوي من الاتقاء، وهو التجنب والرد، **والتقوى:** هي أن يقوم الإنسان بعمل يقيه أذى شيء ويدفع ضرره عنه، فإذا اشتدت علينا أشعة الشمس وحملنا بيدنا مظلة تقينا حرَّها فعملنا هذا تقوى.

وإذا أردنا النزول عن سطح البيت فنزلنا على السلّم فعملنا هذا تقوى..إذ إننا اتَّقينا الأذى الذي كان يصيبنا فيما لو ألقينا بأنفسنا مباشرة على الأرض.

والنفس الموجودة بالصدر كما مر معنا بدروس تأويل جزء عمَّ هي التي تتقي بنور الله تعالى، أي: بذلك النور المتوارد عليها تتجنب المعاصي وترد عن ذاتها كل ما يسوؤها ويضرها.

ولقد قال رسول الله ﷺ وهو يُشير إلى صدره الشريف: «**التقوى هاهنا.. التقوى ها هنا.. التقوى هاهنا**».

وكلمة: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾: والكفلين مثنى مفردها كفل، أي: إن الله تعالى يكفل لك السعادة في الحياة الدنيا والآخرة إن آمنت واتقيت، ولكن

كيف تكون هذه الكفالة؟ قال تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ أي: بهذا النور الإلهي تسيرون على هدى في حياتكم، فتتقون ترك الأعمال الصالحة فتعملونها وتطلبون من الله تعالى أن ييسرها لكم، وكذلك تتقون القرب من الأعمال السيئة فتبتعدون عنها وتعافونها، وهكذا تسعدون في الدنيا والآخرة.

لاحظ أنّ النفس ترى بالعين التي بالرأس بواسطة نور الشمس أو القمر أو الكهرباء، أما إذا أرادت النفس أن ترى هي بذاتها، فهي بحاجة لنور أقوى من هذه الأنوار المادية، وهذا النور هو نور الله تعالى المتوارد على قلب رسول الله ﷺ.

قال تعالى عن رسوله الكريم: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1].

فرسول الله ﷺ هو السراج المنير للنفوس المؤمنة.

والعمى الحقيقي هو عمى النفس عن هذا النور، قال تعالى:

﴿..فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2].

لهذا يأمرنا رسول الله ﷺ أن نكون علماء بصيرين، كما كان أصحابه الكرام

(1) سورة الأحزاب: الآية (46).

(2) سورة الحج: الآية (46).

وكمثال على بصيرة الصحابة، ما ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ حين أصبح أميراً للمؤمنين، حيث إنه بعث جيشاً لقتال الفرس في بلاد نهاوند الهندية وجعل على قيادته القائد الجليل سارية ﵁، وبينما كان سيدنا عمر ﵁ يخطب على المنبر في المدينة المنورة في يوم الجمعة وهو يدل الناس على الله تعالى.. قال: يا سارية الجبل يا سارية الجبل.. فسمع القائد سارية صوت أمير المؤمنين، وكان ينوي صعود الجبل فتوقف عن صعوده والتف حوله فرأى جيش العدو قد أعد للمسلمين كميناً قاتلاً.. فتفادى سارية ذلك الكمين الكبير بالتفافه حول الجبل وهزم العدو هزيمة منكرة.

فبتقوى سيدنا عمر وتقوى سيدنا سارية ﵄ تم إنقاذ الجيش الإسلامي من الكمين الغادر.

هل رأيتم أين وصل المؤمنون المشاهدون أمثال أصحاب رسول الله ﷺ؟.

إذن: الحبيب الأعظم رسول الله ﷺ يأمرنا لما في قلبه الشريف من الحب والحنان علينا، ولما يريده لنا من الخير أن نكون علماء حتى نكسب الدنيا والآخرة، فما أشد حب رسول الله ﷺ لجميع الخلق.



الأسئلة والتدريبات

1- ما هو معنى كلمة: العالم؟.

2- اشرح قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

3- ما هو معنى قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾؟.

4- لماذا أشار رسول الله ﷺ إلى صدره الشريف وقال: «**التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى ها هنا**»؟.

5- اشرح قوله تعالى:

﴿..فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾





الدرس الثاني والعشرون

ولا تكن الخامسة فتهلك

الجزء الثاني:

قال رسول الله ﷺ:

«كن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك»

علمنا بالدرس السابق أن معنى كلمة العالم هو الذي يرى بنور الله تعالى.

إنه ذلك الإنسان البصير المرتبط برسول الله السراج المنير.

أما كلمة: (**أو متعلماً**) فمعناها أن يسلك الإنسان الطريق الصحيح ويتبع المعلم الأول سيدنا محمد ﷺ، الذي قال: «**إنما بعثت معلماً**».

إذاً الذي يُعلِّم الإنسان طريق الإيمان بالله تعالى إنما هو رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** .. ﴾[1].

نحن مأمورون أن نعمل مثل ما عمل رسول الله ﷺ، حينها تصدر عنا الأعمال الصالحة فيحبنا الله تعالى.

كيف يكون التعليم؟.

إذا قرأ الإنسان مثلاً كتاباً عن إصلاح محركات السيارات، فهل نستطيع

---

(1) سورة آل عمران: الآية (31).

أن نسلم هذا الإنسان ورشة لإصلاح المحركات المعطلة؟. بالطبع لا.. لأن تعليم هذا الإنسان لا زال علماً نظرياً، أما إذا ذهب هذا الإنسان لورشة إصلاح السيارات وبدأ المداومة فيها بصورة عملية، واصطبغت يداه بالزيوت والشحوم وتحمل حرارة تلك المحركات وفهم أنواعها وقياساتها وأسباب أعطالها، حينها وبعد فترة من الزمن نستطيع أن نعدَّه خبيراً لإصلاح تلك المحركات.

إذاً الإطلاع وحده لا يكفي بل لا بد من المزاولة العملية.

كذلك الأمر بالنسبة للطالب في المدرسة، فإننا لا نستطيع أن نعد الطالب ناجحاً في صفه ما لم يدرس طوال العام ويذهب صباحاً للدراسة ويتقيد بمقعده ويحفظ دروسه ويكتب وظائفه ويتابع أستاذه، ومن بعد الامتحانات ونجاح الطالب نستطيع أن نقول إن هذا الطالب قد نجح وانتقل من صف إلى صف أعلى.

والإيمان بالله تعالى كذلك، لابد للإنسان من السلوك العملي في الإيمان، فلا يكفي الاعتراف فقط، وكثير من الذين يقولون إنهم مؤمنون نرى أعمالهم غير إنسانية ونراهم مثلاً يؤذون الحيوانات، ويشتِمُون الناس ويغتابون بعضهم بعضاً إلى كثير من الأعمال المنكرة التي يقوم بها هؤلاء الأشخاص،

وهم يقولون أنهم مؤمنون!.

فهـذه الأعـمال السـيئة ليسـت أعـمال الإنسـان المـؤمن، وليسـت أعـمال الإنسان الذي يريد أيضاً أن يكون متعلماً.

إن الـذي يريـد أن يـتعلم طريـق الرسـول ﷺ لا يلتفـت إلى أحـد مـن الأشخاص السيئين ولا يرافقهم، بل تـراه مشـغولاً بنفسـه ومهـتماً بحالـه حتى يُحقق النجاح ويغدو عالماً.

فنهاية المتعلم الصادق هي الوصول إلى العلم بالله تعالى.

(أو مستمعاً): والاستماع المأمور به الإنسان هـو التفكـير بكـل مـا يسـمعه فالإنسـان الـذي يسـمع القـرآن الكـريم لا يكتفـي بالسـماع دون التفكـير بالذي يسمعه من الآيـات الكريمـة، ومـاذا يريـد الله تعـالى مـن وراء هـذا البيان العظيم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

والاستماع المذكور بالآية الكريمة هو الإصغاء للتلاوة مع التفكير بها، عندها تنصت النفس لكلام ربها وتتفهَّمه وتتشرَّبه فتبدأ رويداً رويداً بالميل لأهل الحق وتعقل معاني القرآن الكريم، لذلك ترى المعرضين يوم

(1) سورة الأعراف: الآية (204).

القيامة يندمون على أنهم لم يسمعوا هذا السماع المشار إليه بالحديث الشريف وبالتالي لم يعقلوا كلام الله.. قال تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

(أو محباً): الحب هو لله وللرسول ولأهل الحق.

كيف يستطيع الإنسان أن يُحب؟.

إذا رأى الإنسان معاملة لطيفة من شخص ما، فلا بد أن يحبه.

لماذا يُحب الإنسان أمه وأباه؟. لأنه يرى حرصهم عليه، ويقدمان له كل ما يقدران أن يقدماه، ويُؤَمِّنان له كل متطلباته، ويشعر بحبهما أكثر حين يصيبه مرض من الأمراض، فيرى عطفهما ورعايتهما له باستمرار، وهذا ما يجعل قلبه يحبهما، ولهذا أمر الله تعالى الإنسان حين يكبر أن يشكرهما على ما أبدياه له من الإحسان وعلى تلك الرعاية الكبيرة التي كانا يقومان بها حين كان صغيراً، وأن يدعو لهما بالرحمة والمغفرة دائماً.

من هنا ندرك أن الإنسان إذا فكر بالكون من حوله وشاهد تلك الآيات الكثيرة حوله والإنعام والإكرام الذي يصبُّه الله باستمرار عليه، فإن هذا الإنسان المفكر يحب ربه ويتعلق به تبارك وتعالى.

(1) سورة الملك: الآية (10).

قال رسول الله ﷺ:

«أَحِبُّوا اللهَّ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِّ»[1]

وحب الرسول ﷺ يأتي أيضاً من بعد التفكير، فالإنسان الذي يفكر بالقرآن الكريم ويطبق أوامره الخيرة وتعود عليه بالسعادة، فإنه يرى هذا الخير الذي يعيش به إنما هو بسبب رسول الله ﷺ، الذي جاءه بهذا الكتاب العظيم.

فحب رسول الله ﷺ من شروط الإيمان الصحيح والسلوك العملي لتطبيق القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2].

وقد قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ:

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين»[3].

---

(1) رواه الترمذي.

(2) سورة التوبة الآية: (24).

(3) في الصحيح.

ويتفوق حب الرسول ﷺ عند الإنسان المؤمن على جميع الخلق بما فيهم أمه وأبيه، وذلك بسبب قرب الرسول ﷺ من الله تعالى وحنانه وعطفه على جميع الخلق، وإنه هو السراج المنير الذي سيوصلك للتقوى لتغدو عالماً كما أمر عليه الصلاة والسلام بالحديث الشريف.

(ولا تكن الخامسة فتهلك) والخامسة هي كما مر معنا بالدرس السابق ومعناها هو: كل شيء غير هذه السبل السابقة الأربعة.. عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً.. وما دون ذلك أياً كان ومهما كان اسمه هو هلاك، أي: خسارة الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁



الأسئلة والتدريبات:

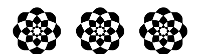
1- هل يكفي الإنسان أن يتعلم التعليم النظري ليكون متعلماً لطريق الحق؟.

2- ما هو معنى قول رسول الله ﷺ: **(إنما بعثت معلماً)**؟.

3- إلى ماذا يُشير قوله تعالى عن المعرضين يوم القيامة بقولهم: ﴿**وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ**﴾؟.

4- لماذا يحب الإنسان المؤمن الرسول الكريم ﷺ حباً يفوق على حب الأم والأب وكل من في الأرض جميعاً؟.

5- ما هو معنى قوله ﷺ: **(ولا تكن الخامسة فتهلك)**؟.





الدرس الثالث والعشرون

قول الزور

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَـنْ لَمْ يَـدَعْ قَـوْلَ الـزُّورِ وَالْعَمَـلَ بِـهِ فَلَـيْسَ للهِ حَاجَـةٌ أَنْ يَـدَعَ طَعَامَـهُ وَشَـرَابَهُ»[1].

شرح ألفاظ الحديث الشريف:

يَدَعْ: يترك بالكلية.

قَوْلَ الزُّورِ: وهو الكلام المجافي للحقيقة، وأصله الكذب والإفتراء.

أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ: وهو الإمتناع عن الأكل بشهر رمضان المبارك.

شرح الحديث الشريف:

ينهى رسول الله ﷺ الإنسان نهياً تاماً عن قول أشياء لا تمت للحقيقة بصلة فكل ما يخفض من قيمة الإنسان عند ربه تعالى ويقلل من شأنه ترى رسول الله ﷺ يحذِّر منه ويبين عواقبه، ومن بين تلك الأمراض والعلل قول الزور وهو قول الكذب الممزوج بالضرر للآخرين.

(1) متفق على صحته.

ما هو قول الزور؟.

كل قول لا يتحقق الإنسان منه ويردده من غير علم وتحقق هو قول زور.

الشهادة أمام القضاة كذباً ضد أحد الأشخاص هي قول زور، وهي من أشد أنواع الزور، لأن هذه الشهادة الكاذبة تضر بإنسان لا يعرف الشاهد عن جرم المشهود عليه شيئاً.

أن يتحدث الإنسان عن أحد الأشخاص مدحاً أو ذماً وهو لا يعرفه، هذا قول زورٍ.

والذي يكذب ويخترع قصصاً عن نفسه أو عن غيره لا أصل لها، هذا من قول الزور أيضاً.

ومن أشد أنواع قول الزور أن يتقول الإنسان كذباً عن رسول الله ﷺ فكل من يقول أن الرسول ﷺ قال كذا.. وهو عليه الصلاة والسلام لم يقل ذلك الكلام أو ذلك الحديث ويظهر أن هذا الكلام مخالف للقرآن الكريم فهذا زور بزور.. وعواقبه من أشد العواقب وما ذاك إلا لأن الأضرار التي تنجم عن مثل هكذا أحاديث كبيرة، فالناس تسير بها ظانة أن هذا الكلام جاءهم من الرسول ﷺ وهو بالحقيقة ليس منه ومخالف لصريح القرآن الكريم وبناء عليه كل شيء لا يتوافق مع القرآن الكريم يجعل

المجتمع المطبق لذلك الكلام مجتمعاً مهلهلاً مريضاً، والرسول ﷺ أنشأ مجتمعاً صحيحاً وقوياً بتطبيق قوانين وأنظمة القرآن الكريم.

كل قول مخالف للقرآن الكريم هو زور وهو مردود على من يقوله، والرسول ﷺ لا يأتي بشيء إلا من كتاب الله تعالى لأن كتاب الله لم يفرط فيه من شيء..

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[1]

وهو تبياناً وتفصيلاً لكل شيء..

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

والرسولﷺ لا يتبع إلا كتاب الله عز وجل:

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[3]

إذاً كتاب الله تعالى فيه كل شيء، وبه تبيان وتفصيل لكل شيء، والرسول ﷺ لا يتبع إلا هذا البيان الإلَهي ولا يأتي بشيء من عنده بل إنه ﷺ أحرص البشر قاطبة على اتباعه وتطبيق ما جاء هو به عن ربه تعالى وهو يبين لنا أنه يخاف أن يعصي ربه، فكيف لنا بعد ذلك البيان الواضح أن نتقبل فكرة حديث مخالف للقرآن الكريم؟. حتماً ويقيناً أن

(1) سورة الأنعام الآية: (38).
(2) سورة النحل الآية: (89).
(3) سورة يونس الآية: (15).

هذا هو من قول الزور.

وقد حذر ﷺ بأحاديث كثيرة حول هذه القضية الكبرى لعلمه بخطورتها وقد حذّر أولئك من نار جهنم يوم القيامة قائلاً:

«مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»(1)

إذاً قول الزور يدخل في كل ما لم تتأكد من صحته وتنقله على أنه حقيقة.

ويزداد إثم قول الزور بازدياد ضرره على الناس، فربما يقول الإنسان كلمتين فقط عن شخص بريء تسبب له ضرراً بالغاً، فهاتان الكلمتان إثمهما كبير عند الله تعالى.

أما عن قوله ﷺ **«فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**.

وهذا ما يبينه القسم الثاني من الحديث الشريف عن فئة من الناس تراهم يصومون وهم لا يعلمون عن الصيام إلا أنه امتناع عن الطعام والشراب من الفجر إلى المغرب، وأنه من الأمور التعبدية والمفروضة على المسلم، وترى كثيراً من هؤلاء يكذبون ويتلاعبون بألسنتهم وهم صائمون!.

وكلمة: «**فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ**» أي: ماذا أفاد ذلك الإنسان من صيامه؟.

(1) متفق على صحته.

كثير من الناس اليوم يصومون ولا يصلون!.

يصومون ويكذبون!.يصومون ويغشون!. يصومون وينظرون للنساء!.

أو تصوم المرأة وتنظر وتختلط بالرجال!.

وفي الحديث القدسي: «**إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ**»[1]

فكيف يكون صائماً من أصابه سهم مسموم وأجج به ناره؟.

وكيف يكون صائماً من كذب وافترى وعمل بالدسوس وسار بالزور؟.

هم لم يفكروا ليعلموا لماذا فرض الله تعالى الصيام، لو فكروا لعقلوا.

يقَول الله تعالى بالحديث القدسي الشريف:

«**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»[2]

كل عمل خير يقوم به الإنسان، يعود بفائدته وخيره على الإنسان ذاته، وحتى الصيام يعود بفائدته على الإنسان، فالله تعالى غني عن العالمين وليس بحاجة لمخلوق أبداً، وقد علمتم بشرح سورة الإخلاص معنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾.

(1) الحاكم في مستدركه.

(2) متفق على صحته.

والصمد: هو الدائم الرفيع الذي لا يستمد من أحد، ولا يحتاج إلى غيره، فإذا كان المخلوق يحتاج في وجوده إلى موجدٍ يُوجده ويربِّيه، وفي حياته إلى محيٍ يمدُّه بالحياة ويحفظها عليه، وفي قوَّته إلى قوي يمنحه القوة ويبعثها فيه، حتى إذا ما انقطع عنه هذا الإمداد لحظة انعدمت قوته وانقطعت حياته وانمحى وجوده وزالت عنه كل موهبة، وافتقد كلَّ خلق أو صفة كانت لديه، فالله سبحانه لا يستمدُّ من أحدٍ ولا يحتاج إلى أحد، بل هو الصَّمدُ في ذاته، وفي كل اسم من أسمائه.

والله تعالى هو الغني عنا وعن عبادتنا.

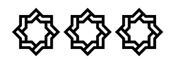
إذاً ما هو معنى كلمة «**إلا الصيام فإنه لي**»؟.

إن كلمة (لي) الواردة في الحديث الشريف تعني أن غايته تعالى من أمره إياك بالصوم أن يوصلك إلى جنابه العالي الرفيع ويذيقك من رحمته ويشهدك طرفاً من جلاله وجماله وينير قلبك بقبس من نوره تمشي به في حياتك فلا تضل أبداً وهنالك تكسب هذه الحياة الثمينة فلا تعود تقع في مكروه ولا تقصّر في عمل من أعمال الخير حتى إذا انتهت بك مرحلة العمر وانقطعت الحياة دخلت في النعيم المقيم وأويت إلى كنف ربك الرحيم.

إذاً كلمة (لي) أي: إن الصيام يوصلك إلي.

فمن لم يد قول الزور وبقي على كذبه ومعصيته فلن ينتفع من صومه أبداً ولن يصل إلى رضاء الله تعالى.

وسنرى بالدرس التالي كيف رفض العلَّامة محمد أمين شيخو قدس الله سره حين كان ضابطاً شهادة الزور ضد أحد النصارى، رغم أنه كان بموقف صعب إذ جاءه أمر عسكري من القائد الأعلى لهذه الشهادة فرفض الأمر فأعزه الله تعالى بالنهاية ورفع شأنه، في حين سنرى النهاية المخزية للذي شهد الزور لأجل شهواته ونزواته ولأجل إرضاء الناس عليه.



الأسئلة والتدريبات

1- عدد بعض الأقوال التي تدخل بقول الزور.

2- لماذا يعتبر الكذب على النبي ﷺ من أشد أنواع قول الزور؟.

3- اشرح قوله تعالى:

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

4- ما هو معنى اسم الله ﴿ٱلصَّمَدُ﴾؟.

5- ما هو المراد من كلمة «**إلا الصيام فإنه لي**»؟.

الدرس الرابع والعشرون

قصة وعبرة

شهادة الزور.. رافض.. رافض

أعزائي الطلاب:

في أواخر العهد العثماني {التركي} وعندما كانت بلاد الشام تابعة للحكم التركي حل الإجرام وسادت الفوضى في كل الأرجاء.. وما ذلك إلا بسبب ضعف الحكومة التركية عن السيطرة وبسط الأمن في البلاد التابعة لها، بتلك الأثناء العصيبة كان العلامة الجليل محمد أمين شيخو ضابطاً للأمن فأقسم يميناً بينه وبين نفسه أن لا يهدأ ولا يفتر حتى يُحقق الأمن والرخاء للناس فشمّر عن ساعد الجد وأخذ يواصل ليله بنهاره وهو يلاحق المجرمين ويضرب على يدي المعتدين ويأدب الخارجين عن القانون حتى ولو كانوا من سدة الحكم وأهله.. وهكذا سطر أعمالاً إنسانية خالدة لتكون مناراً وسبيلاً لمن يريد الحق ويبحث عنه.. مد يد العون لكل ضعيف ومحتاج ونصر المظلوم المقهور وأخذ على يد الظالم فتحقق ما يريده بإذن الله بأن بسط الأمن والسلام في مدينة دمشق وربوعها في حين كان الاضطراب يعم كل الأرجاء.. ولشدة ما

كـان يخـترق الصـعاب ويحـل أعـوص المشـكلات لقبـه رؤسـائه الأتـراك بأصـلان وتعنـي باللغـة التركيـة الأسـد.. ولكـن هـذا المجـد العـالي كـان يحسـده عليـه مـن الضـباط الأتـراك مـن لا يقـدِّر الجميـل ولا يعـرف المعروف، فكان هناك منهم من يتمنى زواله ليأخذ مكانه من شدة الغـيرة والحسد.

طلابنا الأعزاء: في يوم من الأيام دعاه قائد الجيش التركـي للشـهادة عـلى أحد الرجال الأرمن النصارى أمام المحكمة..

وقال له: ما عليك يا أصلان إلاَّ أن تقول هذه الكلمات:

«لقـد رأيتـه في المحـلِّ العمـومي» وهـذه شـهادتك فحسـب غـداً أمـام المحكمة.

فأجاب ضابطنا السيد محمد أمين وعلى الفـور كـما اعتـاد: حاضـر سـيادة القومندان، حيث إنه اعتـاد عـلى أن لا يـرفض لـه أمـراً.. وانطلـق خـارج المكتب.

ولكـن وبـنفس اللحظـة حدَّثتـه نفسـه أي محـل؟. أنـا لا أعـرف المحـل العمومي كما لا يجوز شهادة الزور والإيقاع ببريء دون حق.

فتراجع بالحال ودخل ثانيةً وردَّ على القائـد العـام: لكننـي لا أعـرف أيـن

ذلك المحل العمومي.. ومحل ماذا؟.

فأجابه القائد العام: ما عليك من ذلك.. فالأمور كلها مدبَّرة في المحكمة ومع القضاة.

نعم إنه إثر مغادرته غرفة القيادة وتمعُّنه بجوهر القضية وأن الأمر يتعلَّق بتدمير إنسان أيّاً كان بشهادة زور عاد إلى القائد العام يُفاجئه بردٍّ قطعي عندما قال: **رافض**.

فقال القائد العام مصعوقاً بتعجب: **رافض!**.

الضابط الأمين: **نعم رافض.. رافض**.

كان دائماً يقول: نعم حاضر.. أما الآن يقولها: «رافض»!.

إذن: انصرفْ.. هذا ما قاله القائد وقد تميَّز غيظاً وغضباً.

۞۞۞

ذهب إلى البيت وهو يتوقَّع كل النتائج المترتِّبة على هذا الرفض للأمر العسكري الجائر الظالم.. وأخبر والدته بالأمر وقال لها: احزمي أمتعتي يا أماه فقد تحتَّم النفي بحقي وأنا الآن بحكم المنفي من البلاد.

فقد كان الضابط العربي الوحيد المتواجد في السرايا الحكومية بعد أن نفى الأتراك كافة الضباط العرب إلى «سيراميك» بتركيا.

حاولت والدته وبشتى الوسائل أن تثنيه عن رفضه لشهادة الزور ومن جملة ما تذرَّعت به قولها: «يا بني هذا كافر مشرك فلم لا تشهد ضدَّه، هم أوقعوه لا أنت، أليس ذلك بأفضل من النفي».

فأجابها السيد محمد أمين: ولكن يا والدتي لم أره فكيف أشهد ضده؟.

والنبي الكريم ﷺ يقول:

«مَنْ قَذَفَ ذِمِّيًّا حُدَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسِياطٍ مِنْ نَارٍ»(1)

«من آذى ذمِّياً فقد آذاني».

كان الكثير من الضباط الأتراك يحسدونه على منصبه ومكانته المرموقة في قلوب القادة ومن بينهم معاونه في المنصب وهو ضابط تركي.. فقد انتهز الفرصة وأدلى بتلك الشهادة أمام المحكمة ضدَّ ذلك الرجل بكل خيَلاء وسرور بعد أن طلب منه القائد العام ذلك.. وبذا حظي برضى قائد الجيش التركي.

وشهادته الزور كانت فرصته لينال منصبه إثر رفض ضابطنا لشهادة الزور.

ولهذا فقد استلم شاهد الزور هذا منصب ضابطنا السيد محمد أمين..

---

(1) المعجم الكبير للطبراني

وضابطنا ينتظر قرار النفي، ولكن ﴿ ...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا .. ﴾[1]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾[2]

إذ لم تمضِ إلا أيام قليلة حتى ضُبط ذلك الشاهد للزور بجرم خيانة كبيرة لقادته وبما أنه خان من قبلُ ربَّه وخان ضميره فلا يُستبعد أن يخون من أحسن إليه.

وفي اليوم التالي حضر ضابطنا إلى عمله والحزن يكسو وجهه، وبعد دخوله المكتب بقليل دخل القائد عليه وأمره: **(أصلان)** اقبض على هذا الخائن وألقه في السجن «مُشيراً إلى ذلك الضابط التركي شاهد الزور».

ولكن ضابطنا ظنَّ أنها تمثيلية ولعبة من الإثنين ضدَّه يريدان بها أن يستهزئا به ويسخرا منه قبل أن يُنفى.. ولكن ماذا يستطيع أن يفعل، عليه أن ينفِّذ الأمر.

توجَّه إلى الضابط التركي وقال له: هيا تفضل معي وسار معه بلطف.. لكنه شاهد القائد العام ينقضُّ غاضباً على الضابط التركي من الخلف وهو يصيح:

(1) سورة الطلاق: الآية (2).

(2) سورة الحج: الآية (38).

ليس هكذا يُساق المجرم.. ثم وجَّه ضربةً شديدةً مفاجئةً على ظهر الضابط التركي من الخلف فوقع على وجهه.. عندها صاح القائد: هكذا يُساق المجرم إلى السجن.. خذه موجوداً **أنت لست مثله، أنت ضابط شريف**.. عندها أيقن ضابطنا السيد محمد أمين أن المسألة جدّ وليست بتمثيلية من أجل التهكُّم عليه.

عاد لاستلام منصبه كما كان بعد أن كسب تقدير ومحبة رؤسائه لإنسانيته السامية: فمن أجل أخيه الإنسان وليكن أرمنياً أو مسلماً، ضحّى بكل غال وثمين.

ومثل ضابطنا الشريف كمثل من قال ﷺ بحقِّه:

« مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ »[1].

ومثل الضابط التركي الخائن لإنسانيته ولرضاء أسياده كما قال ﷺ:

« وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ ».

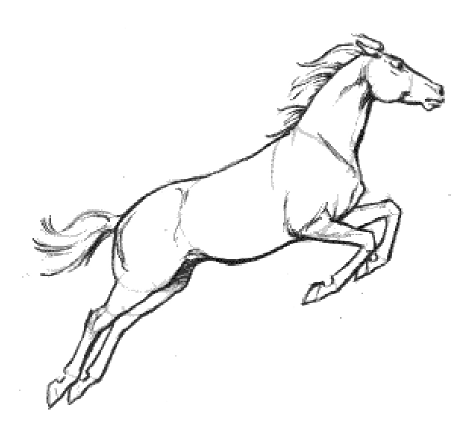


(1) رواه الترمذي.

التدريبات:

- لماذا كان القادة الأتراك يلقبون العلَّامة الجليل محمد أمين شيخو بالأسد؟.
- ما الدافع الذي جعل الضابط التركي وهو معاون لضابطنا الجليل بأن يشهد شهادة الزور ضد الرجل الأرمني؟.
- اذكر كيف كانت النتائج خيِّرة لصالح من لا يشهد الزور في قصة علَّامتنا الجليل محمد أمين شيخو، واذكر النتائج السيئة التي ترتبت على شاهد الزور.





الفهرس

قسم
الحديث الشريف